الشيخ ندا

أبو أحمد

رحمة رب العالمين والنبي الأمين بالمسلمين في رمضان

الشيخ/ندا أبو أحمد

رحمة رب العالمين والرسول الأمين ﷺ بالمسلمين في رمضان

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

رحمة رب العالمين والرسول الأمين ﷺ بالمسلمين في رمضان

أولًا: رحمة الله تعالى بعباده في رمضان:

ومن رحمة الله تعالى: أن جعل لنا مواسم للطاعات تتضاعف فيها الحسنات، وتُرفع فيها الدرجات، ويُغفر فيها كثير من الذنوب والمعاصي والزلات:

١- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن يسر لهم الطاعة، ففتح لهم أبواب الجنان، وأغلق فيه أبواب النيران، وصفد فيه الشياطين ومردة الجان:

٢- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن شرع لهم فيه الصيام، وأعطى عليه من الأجر والفضل والثواب ما لم يُعطِ على غيره من العبادات:

أ- فالأجر فيه عظيم، ولا يعلمه إلا رب العالمين.

ب- جعل الله الصيام تكفيرًا للسيئات.

جـ- الصيام جنة من النار.

د- الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة.

هـ- نداء الريان لمعاشر الصُّوَّام.

و- الصوم سبيل لدخول الجنة، بل سيكون في أعلى الجنان، بل سيحشر مع الصديقين والشهداء.

٣- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن خَصَّه اللهُ بصلاة التراويح، ولها فضل عظيم:

أ- مغفرة الذنوب.

ب- استحقاق قائِمِة اسم الصديقين والشهداء.

جـ- من قام مع إمامه حتى ينتهيَ كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ.

٤- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن جعل هذا الشهر أجره كاملًا، وإن كان تسعًا وعشرين يومًا:

٥- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن جعل فيه الدعاء مستجابًا:

٦- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن جعل فيه ليلة القدر، وهي ليلة خير من ألف شهر:

٧- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن جعل العُمرة فيه تعدل أجر حجة:

٨- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن من فطر فيه صائمًا فله مثل أجره:

٩- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن من أكل أو شرب ناسيًا فليتم صومه:

١٠- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن من نام وهو ينوي أن يقوم من الليل ليصلي، فغلبته عينه حتى أصبح، كتب له أجر القيام وكان نومه عليه صدقة من ربه:

١١- ومن رحمة الله تعالى في رمضان: أن المرأة إذا حاضت فإنها تُفطر، وعندما تطهُر تقضي الصيام ولو متفرقًا، ولا تقضي ما فاتها من الصلاة:

١٢- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن وضع الصيام عن أهل الأعذار كالمريض، والمسافر، والشيخ الكبير، والمرأة العجوز، والحامل، والمرضع، وأصحاب الأعمال الشاقة:

١٣- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن جعل صيام رمضان أيامًا معدودات:

١٤- ومن رحمته تعالى الخاصة بأيام ولياليي رمضان: أن الله تعالى علق الصيام والإمساك على علامتين يسهل تمييزهما وهما: طلوع الفجر، وغروب الشمس:

١٥- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن شرع لنا زكاة الفطر بعد رمضان طهرة للصائم من اللغو والرفث:

١٦- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن شرع لنا صيام ستة أيام بعد رمضان، ويعدل هذا صيام الدهر:

١٧- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن شرع لنا الصيام لتحصيل التقوى، والتي هي أصل سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة:

- التقوى هي أجمل لباس يتزين به العبد.
- وكما أن التقوى أجمل لباس يتزين به العبد فإنها أفضل زاد يتزود به العبد ليوم القيامة.
- الله -عز وجل- جعل التقوى هي الميزان الذي يُوزن به الناس، وبه يتفاضلون.
- ولمكانة وشرف التقوى أمر الله -عز وجل- المسلمين بالتعاون عليها.
- ولشرف التقوى وأهميتها نجد أن الله يوصي بها الأولين والآخرين.
- **والتقوى أصل سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولها ثمرات عاجلة، وآجلة:**

أولًا: الثمرات العاجلة:

١- المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب.

٢- التقوى سبب للسهولة واليسر في كل أمر.

٣- التقوى سبب لمحبة الله -عز وجل-، ومحبة ملائكته، والقبول في الأرض.

٤- التقوى سبب لإطلاق نور البصيرة، فيفرق بين الحق والباطل، والخير والشر.

٥- التقوى سبب لتيسير العلم النافع.

٦- والتقوى تدخل صاحبها ولاية الله.

٧- التقوى سبب للبشرى وهي الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم.

٨- التقوى سبب للحفاظ من كيد الأعداء ومكرهم، وهي باب النصر والمدد من الله.

٩- التقوى سبب للمعية الخاصة، وهي سبب في نصرة الله -عز وجل- وتأييده وتسديده.

١٠- التقوى سبب النجاة من عذاب الدنيا.

١١- التقوى سبب لنزول البركات من السماء والأرض، ورفع البلايا والأزمات.

١٢- التقوى سبب لحفظ الذرية الضعاف بعناية الله -عز وجل-.

١٣- التقوى سبب لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة.

ثانيًا: ثمرات التقوى الآجلة:

١- التقوى سبب لتكفير السيئات، وتعظيم الأجر.

٢- أهل التقوى لهم عز الفوقية فوق الخلق يوم القيامة.

٣- أهل التقوى تجمعهم التقوى تحت مظلة المحبة والخلة حين تنقلب كل صداقة ومحبة إلى عداوة.

٤- والتقوى سبب النجاة من شدائد الدنيا والآخرة.

٥- والتقوى سبب للمغفرة والرحمة.

٦- التقوى سبيل لدخول الجنة.

٧- أهل التقوى لهم ميراث الجنة فهم أحق الناس بها.

٨- وأهل التقوى لا يذهبون إلى الجنة سيرًا على أقدامهم بل يحشرون إليها ركبانا.

٩- أهل التقوى يسعدون بالصحبة والمحبة وهم يساقون إلى الجنة زمرًا زمرًا.

١٠- وأهل التقوى يفوزن بأعلى الدرجات في الجنة:

فالحمد لله أن مَنَّ علينا بنعمة الحياة حتى أدركنا رمضان، فهي نعمة عظيمة؛ بل هي من أفضل نعم الله علينا ورحمته بنا، ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا من وقف على هذا الحديث... ذُكر في ثنايا الرسالة.

ثانياً: صور من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان:

١- حث الأمة الإسلامية على السحور:

٢- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: أنه حثهم على تأخير السحور:

٣- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: أنه شرع لمن كان يشرب ثم سمع نداء الفجر، فله أن يكمل شرابه حتى يرتوي.

٤- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: أن شرع لهم تعجيل الإفطار:

وتعجيل الإفطار كان من هدي النبي ﷺ.

وتعجيل الفطر حث عليه النبي ﷺ أمته.

الأمة المحمدية على خير طالما يعجلون الفطر.

تعجيل الفطر لمخالفة أهل الكتاب.

الأمة المحمدية على السنة طالما أنهم يعجلون الفطر.

تعجيل الفطر وتأخير السحور من أخلاق النبوة.

٥- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: أنه نهى عن الوصال في الصيام:

٦- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: أن رخص لهم التبرد في الصيام عند الحرِّ الشديد:

٧- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: أنه نهى عن الصوم في السفر لمن وجد مشقة، ومنعه الصيام عن فعل الخير:

- **صورة من رحمته ﷺ:** حيث خفف الصلاة حينما علم أن أصحابه يصلون خلفه.

٨- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: أنه توقف عن قيام الليل جماعة في رمضان، مخافة أن تفرض عليهم:

٩- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: حثهم على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان التماسًا لليلة القدر، والتي هي خير من ألف شهر:

١٠- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: خوفه عليهم من الوقوع في الإثم:

١١- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: الرفق بمن جامع زوجته في نهار رمضان:

أولًا: رحمة اللّه تعالى بعباده في رمضان:

مقدمة:

قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: ٥٤)

وهذا إخبار منه سبحانه بأنه كتب الرحمة على نفسه تفضلًا منه بذلك، من غير أن يوجبها عليه موجب أو يقترحها عليه مقترح. **قال أيضًا إخبارًا عن دعاء الملائكة:** ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ (غافر:٧)

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء:٨٣)

وقال جل وعلا: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦)

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ-رحمه الله-: " اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا أَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ، فَإِنَّ رَحْمَتَكَ أَهْلٌ أَنْ تَبْلُغَنِي، رَحْمَتُكَ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنَا شَيْءٌ فَلْتَسَعْنِي رَحْمَتُكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ".

الله عز وجل أرحم بنا من أمهاتنا.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: " **قَدِمَ عَلَى رسولِ اللهِ ﷺ بسبْيٍ[1]، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تسعَى، إِذَ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ فَأَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لاَ وَاللَّهِ، وَهِي تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا** ".

ورحمة الله بعباده أشد وأعظم من رحمة الأم بولدها، وهذا مثال محسوس ضربه النبي ﷺ لتبيين سعة رحمة الله الواسعة، والتي لا تُقارن بأي رحمة بشرية، فكما لا يمكن لتلك الأم أن تطرح ولدها في النار، فالله أرحم بعباده من هذه بولدها، وهذا ما يبعث في القلوب الأمل والطمأنينة.

قال حمَّاد بن سلمة-رحمه الله-: " ما يسرني أن أمري يوم القيامة صار إلى والدي، إن ربي أرحم بي من والدي ".

وذكر هذا أيضًا عمرو بن ميمون-رحمه الله- فقال: " ما يسرني أن أمري يوم القيامة إلى أبوي ".

لعلمه رحمه الله أن الله تبارك وتعالى أرحم وألطف وأبر وأكرم به من والديه. (تهذيب الحلية:٢/ ٧٢)

قال بعض العباد: " لما علمت أن ربي عز وجل يلي محاسبتي زال عني حزني، لأن الكريم إذا حاسب عبده تفضل ".

١- سَبْيٌ: أي عبيدٌ، وهم أسرى الحَرب، قيلَ: هم أسْرَى هَوازِنَ.

ومرض أعرابي فقيل له: إنك تموت، قال: إلى أين يُذهب بي بعد الموت؟ قالوا: إلى الله، قال: فما كراهتي أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه؟". (موسوعة ابن أبي الدنيا:٥/٣٠٩).

- **وما أعظم الرحمة وأشرفها وأجملها حيث يكتب الله تعالى كتابها بيده سبحانه:**

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهو مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ ".**

– *وفي رواية:*" لما قضى اللهُ الخلقَ، كتب في كتابِه، فهو عندَهُ فوقَ العرشِ: إنَّ رحمتي غلبتْ غضَبِي".

(أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ)

– *وفي رواية عند ابن ماجه بلفظ:*" كَتِبَ ربُّكم علَى نَفسِهِ بيدِهِ قَبلَ أن يخلُقَ الخلقَ: رَحمَتي سبَقَت غضَبي ". (صحيح ابن ماجه: ١٥٧)

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ اللهَ تَعالَى كَتَب في كِتابٍ- قيل: في اللَّوحِ المَحفوظِ، وقيل: في كِتابٍ خاصٍّ بذلك الأمرِ تَنويهًا بشَأنِه، ورَفعًا لقَدرِه، وهو مَكتوبٌ عندَه تَعالَى فوقَ العَرش: أنَّ رَحمتَه تَعالَى سَبَقَت غَضَبَه؛ فهو سُبحانه وتعالَى الغَفُورُ الرَّحيمُ، فكانت رَحمتُه أسبَقَ لعِبادِه من الغَضَبِ عليهم، ورِفقُه بالخَلقِ وإنعامُه عليهم ولُطفُه بهم؛ أكبَرَ من انتقامِه وأخذِه، كيف لا، وابتِداؤُه الخَلقَ وتَكميلُه وإتقانُه، وتَرتيبُه، وخَلقُ أوَّلِ نَوعِ الإنسانِ في الجنَّةِ؛ كُلُّ ذلك من رَحمتِه السَّابِقةِ؟! وكذلك ما رَتَّبَ على ذلك منَ النِّعَمِ والألطافِ في الدُّنيا والآخِرةِ، وكُلُّ ذلك رَحَماتٌ مُتلاحِقاتٌ، فهو قدِ ابتَدَأَ خَلقَه بالنِّعمةِ بإخراجِهم من العَدَمِ إلى الوُجُودِ، فالرَّحمةُ تَشمَلُ الإنسانَ جَنينًا، ورَضيعًا، وفَطيمًا، وناشِئًا، من غَيرِ أن يَصدُرَ منه شَيءٌ منَ الطَّاعةِ، وبَسَطَ لهم مِن رحمتِه في قُلوبِ الأبَوَينِ على الأبناءِ منَ الصَّبرِ على تَربيَتِهم ومُباشَرةِ أقذارِهم؛ ما إذا تَدبَّره مُتدبِّرٌ أيقَنَ أنَّ ذلك من رَحمتِه تَعالَى. (الدرر السنية)

فرَحمة اللهِ أكثرُ من أن يُحيطَ بها وَصفٌ.

فقد أخرج البزار وابن أبي الدنيا من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لَوْ تعلَمونَ قَدْرَ رحمَةِ اللهِ لَاتَّكَلْتُمْ عليْها ".** (صحيح الجامع: ٥٢٦٠) (الصحيحة:٢١٦٧)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ ما عِنْدَ اللهِ مِنَ العُقُوبَةِ، ما طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، ولو يَعْلَمُ الكَافِرُ ما عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، ما قَنَطَ مِن جَنَّتِهِ أَحَدٌ ".**

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لو يعلَمُ المؤمِنُ ما عندَ اللهِ مِنَ العقوبَةِ، ما طَمِعَ في الجنةِ أحدٌ، ولَوْ يَعْلَمُ الكافِرُ ما عندَ اللهِ مِنَ الرحمةِ ما قنطَ مِنَ الجنةِ أحدٌ ".**

(صحيح الجامع: ٥٣٣٨)

فسبحانه ما أعظم حلمه، وأجلَّ كرمه، وأوسع رحمته، وأحسن مغفرته، وأكبر ستره، وأيسر لطفه، وأَمَنَّ عطاءه وعطفه. فمن لجأ إليه، ولاذ بجنابه، واحتمى بحماه أمن العذاب، ونجا عند الحساب، ونال الشرف الرفيع، ومن توكل على غيره، واعتمد على سواه ضاع، وظمأ وجاع، ولم يُطعم إلَّا الضريع.

يقول ابن القيم-رحمه الله-: " انظر إلى ما في الوجود من آثار رحمة الله تعالى الخاصة والعامة، فبرحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ، وأنزل علينا كتابه، وعصمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبصرنا من العمى، وأرشدنا من الغي، وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض، وجعلها مهادًا وفراشًا وقرارًا وكفاتًا للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر، وأخرج الفواكه والأقوات والمرعى، ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام وذللها منقادة للركوب والحمل والأكل والدر، وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان، فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفته ونعمته، واشتق لنفسه منها اسم الرحمن الرحيم، وأوصل إلى خلقه معاني خطابه برحمته، وبصرهم ومكن لهم أسباب مصالحهم برحمته، وكان عن صفة الرحمة الجنة وسكانها وأعمالها، فبرحمته خلقت، وبرحمته عمرت بأهلها، وبرحمته وصلوا إليها، وبرحمته طاب عيشهم فيها، وبرحمته احتجب عن خلقه بالنور، ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. ومن رحمته أنه يعيذ من سخطه برضاه، ومن عقوبته بعفوه، ومن نفسه بنفسه، ومن رحمته أن خلق مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض فأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة نشرها بين الخليقة ليتراحموا بها، فبها تعطف الوالدة على ولدها والطير والوحش والبهائم، وبهذه الرحمة قوام العالم ونظامه ". اهـ (مختصر الصواعق المرسلة:٢/ ٣٠٣)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " **وتأمل قوله تعالى:** ﴿الرَّحْمَنُ(١)عَلَّمَ الْقُرْءَانَ(٢) خَلَقَ الْإِنسَانَ(٣)عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾(الرحمن:١-٤) كيف جعل الخلق والتعليم ناشئًا عن صفة الرحمة متعلقًا باسم الرحمن، وجعل معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم وختمها بقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(الرحمن:٧٨)

فالاسم الذي تبارك هو الاسم الذي افتتح به السورة، إذ مجيء البركة كلها منه، وبه وضعت البركة في كل مبارك، فكل ما ذكر عليه بورك فيه، وكل ما خلى منه نزعت منه البركة، فإن كان مذكى وخلى منه اسمه كان ميتة، وإن كان طعامًا شارك صاحبه فيه الشيطان، وإن كان مدخلًا دخل معه فيه، فاسمه مبارك لا يذكر في قليل إلا كثره ... ". اهـ

فما من أحد منا إلا وهو يتقلب في رحمة الله وعظيم فضله.

ومن رحمة الله تعالى: أن جعل لنا مواسم للطاعات تتضاعف فيها الحسنات، ويُرفع فيها الدرجات، ويُغفر فيها كثير من الذنوب والمعاصي والزلات:

وقد أخرج الطبراني في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة، لا يشقى بعدها أبدًا ". (الصحيحة:١٩٨٠)

– ***وفي رواية:*** " افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته، يصيب بها مَن يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم، وأن يُؤمِّن روعاتكم ".

(أخرجه ابن أبى الدنيا والطبراني من حديث أنس ﷺ)

ولقد بين النبي ﷺ في هذه الأحاديث أنه ينبغي على الإنسان منا أن يتعرض لهذه النفحات والمنح، وشهر رمضان من النفحات الربانية، والمنح الإلهية على الأمة المحمدية.

ففي رمضان منحُ الرحمن، ونسائمُ القرآن، وروائحُ الجنان، فيه تطيبُ الأفواهُ، وتطهرُ الألسنة، وتُصان الفروجُ، وتمنع الآثام، فهو جُنة من الزلل، ووقاية من المعاصي، وحصن من السيئات، لا يخيب فيه سائل، أو يُطرد عنه محروم، عطاؤه كثير، وفيضه عميم، توج بليلة القدر، وتشرف بنزول القرآن، وبورك بنزول الملائكة، ورُفعت فيه راية الموحدين، فقد تم فيه نصر بدر، وفيه تم فتح مكة، فكان هو الفوز في البدء والختام والفرح بالسيادة والإيمان. فالحمد لله لما أولانا فيه من النعيم، وحبانا فيه من الرحمات والطيبات.

فهو شهرٌ.... تنهمر فيه الرحمات من رب البريات.

شهرٌ.... مبارك كريم وموسم رابح عظيم وشهر تتضاعف فيه الحسنات.

شهرٌ.... أنزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

شهرٌ.... من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

شهرٌ.... من قامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

شهرٌ.... فيه ليلة خير من ألف شهر من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

شهرٌ.... تفتح فيه أبواب الجنان فلا يغلق منها باب.

شهرٌ.... تغلق فيه أبواب النيران فلا يفتح منها باب.

شهرٌ.... تصفد فيه الشياطين ومردة الجان.

شهرٌ.... من أتى فيه بعمرة كان كمن حج مع النبي ﷺ.

شهرٌ.... من فطر فيه صائمًا كان له مثل أجره.

شهرٌ.... لله فيه عتقاء من النار وذلك في كل ليلة.

وغير ذلك من الجوائز والمنح الربانية، والتي وهبها رب البرية للأمة المحمدية.

فالحمد لله أن منَّ علينا بنعمة الحياة وأطال في الأعمار حتى أدركنا هذه الأوقات المباركات؛ لنتزود فيها الأعمال الصالحات، ليوم لا تنفع فيه الحسرات، فبلوغ رمضان نعمة عظيمة، ومنحة جليلة، فكم غَيّب الموتُ من صاحب، ووارى الثرى من حبيب.

فمن رحمة الله بنا أن مَنَّ علينا بنعمة الحياة حتى أدركنا رمضان، فهي **نعمة لا يعرف قدرها إلا من وقف على هذا الحديث:**

حديث أخرجه ابن ماجه بسند صحيح من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ:" أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَلِيٍّ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا جَمِيعًا، فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْآخَرِ، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِهِمَا، فَخَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ، فَقَالَ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ، فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ فَعَجِبُوا لِذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ:" مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ"! فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا كَانَ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا ثُمَّ اسْتُشْهِدَ، وَدَخَلَ هَذَا الْآخِرُ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً"، قَالُوا: بَلَى، قَالَ:" وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ، وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟". – ***وفي رواية للإمام أحمد والبيهقي:*** " أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ، أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً لصَلَاةِ السَّنَةِ"، قَالُوا: بَلَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ". (السلسلة الصحيحة: ٢٥٩١)

الله أكبر... لو ظل الإنسان منا ساجدًا لله تعالى إلى أن يلقاه لم يوفِّ شكر هذه النعمة، فلنحمد الله جميعًا على أن منَّ علينا بنعمة الحياة حتى أدركنا رمضان، وزِيد لنا عددٌ من الركعات كتبت في السجلات، وفي ميزان الحسنات.

ومن رحمة الله بنا: أنه سبحانه أَنْزَلَ الكِتَابَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وشرع لنا شرائع لتستقيم بها حياتنا، ونسعد بها في الدنيا والآخرة.

ومن العبادات التي شرعها الله تعالى رحمة بعباده أن فرض عليهم صيام رمضان والبعض يظن أن الله تعالى فرض الصيام على عباده ليشق عليهم، فهذا كلام باطل، إنما شرع اللهُ الصيامَ تزكيه للنفس وسمو بالروح، وراحة للقلوب والأبدان، كما قال الواحد الديان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)

وبعد هذه المقدمة آن لنا الشروع للدخول في الموضوع، وذكر صور من رحمة الله تعالى بالمسلمين في هذا الشهر الكريم.

١- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن يسر لهم الطاعة، ففتح لهم أبواب الجنان، وأغلق فيه أبواب النيران، وصفد فيه الشياطين ومردة الجان:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والبيهقي والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ[١] الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ[٢] فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ كل ليلة: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ وللهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ** ". (صحيح الجامع: ٧٥٩)

فمن رحمة الله بعبادة في رمضان وتيسير العبادة عليهم؛ ما جاء في هذا الحديث: حيث تُفتح أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب. وتُغلق أبواب النار فلم يفتح منها باب. وتُصفد الشياطين ومردة الجن. وينادي فيه مناديًا: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر. ولله فيه عتقاء من النار وذلك كل ليلة، وهذا ليس خاص بأول ليلة فقط كما ورد في الحديث، بل هذا في شهر رمضان كله، ويدل على هذا، **ما رواه الإمام *أحمد والنسائي من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** " **هذا شهر رمضان جاءكم تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتسلسل فيه الشياطين** ". (صحيح الجامع: ٦٩٩٥)

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **إِذَا دَخَلَ شهر رَمَضَانَ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وغلقت أبواب جهنم، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ** ".

قال الإمام النووي-رحمه الله- كما في "شرحه على مسلم:٧/١٨٨": وأما قوله ﷺ: " **فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين**" فقال القاضي عياض-رحمه الله-: يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته وأن تفتيح أبواب الجنة وتغليق أبواب جهنم وتصفيد الشياطين علامة لدخول الشهر وتعظيم لحرمته ويكون التصفيد ليمتنعوا من إيذاء المؤمنين والتهويش عليهم [٣].

ثم قال-رحمه الله-: ويحتمل أن يكون المراد المجاز ويكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو وأن الشياطين يقل إغوائهم وإيذاؤهم ليصيرون كالمصفدين ويكون تصفيدهم عن أشياء دون أشياء ولناس دون ناس، ويؤيد هذه الرواية الثانية:" **فتحت أبواب الرحمة**" وجاء في حديث آخر:" **صفدت مردة الشياطين**". ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله تعالى لعباده من الطاعات في هذا الشهر التي لا تقع في غيره عموما كالصيام والقيام وفعل الخيرات والانكفاف عن كثير من المخالفات، وهذه أسباب لدخول الجنة وأبواب لها، وكذلك تغليق أبواب النار وتصفيد الشياطين عبارة عما ينكفون عنه من المخالفات. اهـ.

١- صفدت: بضم أوله وتشديد الفاء أي شُدَّت وأُوثقت بالأغلال، والأصفاد هي القيود، قال تعالى (مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ) أي مشدودين بعضهم ببعض في القيود والأغلال. (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٣/٥٣)

٢- وفي لفظ للبخاري" وفتحت أبواب السماء"، وعند مسلم بلفظ" وفتحت أبواب الرحمة".

٣- قد يقول قائل: في الحديث أن الشياطين صفدت، ومردة الجان سلسلت وقيدت، ومع هذا نرى المعاصي والذنوب واقعةً في رمضان فكيف هذا؟ والجواب: أن الشياطين ومردة الجن تغل وتصفد عن الصائمين الذين قاموا بحق الصيام وأدوا شروطه، والتزموا بآدابه، وقيل إن المصفَّد: والمقيد ليس كل الشياطين بل هم مردة الشياطين فقط – كما ورد في بعض الروايات، وقيل إن المقصود بتصفيد الشياطين هو: تقليل الشرور فيه، وهذا أمر محسوس؛ فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره، إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم ألا يقع شر ولا معصية، لأن لذلك أسبابًا غير الشياطين، كالنفوس الخبيثة، والعادات القبيحة، والشياطين الإنسية". (فتح الباري:٤/١١٤)

٢- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن شرع لهم فيه الصيام، وأعطى عليه من الأجر والفضل والثواب ما لم يُعطِ على غيره من العبادات:

أ- فالأجر فيه عظيم، ولا يعلمه إلا رب العالمين:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعفُ له، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: إلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ ".

قال ابن حجر-رحمه الله- في" فتح الباري:٤/١٣٠": " المراد بقوله:" إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به"، أني أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وأما غيره من العبادات فقد اطَّلَعَ عليها بعض الناس. اهـ

وقال القرطبي-رحمه الله-: " معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس، وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله، إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير. اهـ

وقال ابن رجب الحنبلي-رحمه الله- في" لطائف المعارف ص:٢٨٣": " يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة، فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد، بل يضاعفه الله ﷻ أضعافًا كثيرة بغير حصر عدد...". اهـ

وقوله ﷺ: " لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ ".

قال ابن رجب-رحمه الله- في" لطائف المعارف ص:٢١٥": " أما فرحة الصائم عند فطره: فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح، فإذا منعت من ذلك في وقت من الأوقات، ثم أبيح لها في وقت آخر فرحت بإباحة ما منعت منه، خصوصًا عند اشتداد الحاجة إليه، فإن النفوس تفرح بذلك طبعًا... **وأما فرحه عند لقاء ربه:** فبما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخرًا، فيجده أحوج ما كان إليه **كما قال تعالى:** ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (المزمل:٢٠)

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ (آل عمران:٣٠)". اهـ باختصار

ب- جعل الله الصيام تكفيراً للسيئات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . . . **إلى قوله تعالى:** وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥)

فالصيام من أعظم أعمال البر والخير والتي أعد الله لعامليها أمرين عظيمين: الأول:(مغفرة) وذلك بغفران الذنوب: أي بسترها وعدم المحاسبة عليها، ونكرت المغفرة لتعظيم أمرها، فهي إذا مغفرة شاملة.

الثاني: (وأجرًا عظيمًا) أي يوم الحساب.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" فتنة الرجل[١] في أهله [٢] وماله [٣] ونفسه [٤] وولده [٥] وجاره [٦]؛ يكفرها الصيام، والصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".**

ونبَّه على الصلاة والصيام على العبادة الفعلية، وبالصدقة على المالية، وبالأمر والنهي على القولية فهي أصول المكفرات والمراد الصغائر فقط، ويحتمل أن يكون كل واحد من الصلاة وما بعدها يكفر المذكورات كلها لا كل واحد منها، وخص الرجل لأنه غالبا صاحب الحكم في داره وأهله، وإلا فالنساء شقائق الرجال في الحكم. (أفاده المناوي في فيض القدير:٤/٤٢٣)

وقد ترجم البخاري على الحديث السابق بقوله: "باب الصوم كفارة ".

وقال القاري-رحمه الله- كما في" مرقاة المفاتيح:٩/٣٢٨": والمعنى أن الرجل يبتلى ويمتحن في هذه الأشياء، ويسأل عن حقوقها، وقد يحصل له ذنوب من تقصيره فيها، فينبغي أن يكفرها بالحسنات، **لقوله تعالى:** ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود:١٤٤)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **" مَن صام رمضان إيمانًا[٧] واحتسابًا[٨]؛ غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه ".**

والغفران مشروط بشرطين: الإيمان والاحتساب، وهما مدار الفرق بين العادة والعبادة فبدونهما يكون الصوم إرثا وتقليدًا فلما يدفع صاحبه إلى الخير وينهاه عن الشر. (الصوم في ضوء الكتاب والسنة للأشقر ص:١٤)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: **" الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرَ ".**

قال المناوي-رحمه الله- في" فيض القدير:٢/٢٠٨": وقوله: **" الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان"** أي صلاة الجمعة منتهية إلى الجمعة، وصوم رمضان منتهيًا إلى صوم رمضان، **"مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر"** شرط وجزاء دل عليه ما قبله، ومعناه: أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر، فلا تغفر إلا بالتوبة. اهـ

وأخرج الإمام أحمد من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَن لَقِيَ اللهَ لا يُشرِكُ به شيئًا، يُصلِّي الخَمسَ، ويَصومُ رَمضانَ، غُفِرَ له، قُلتُ: أفَلا أُبشِّرُهم يا رسولَ اللهِ؟ قال: دَعْهم يَعمَلوا ".**

(الصحيحة: ١٣١٥)

فأنعم به من شهر تُغْفَر فيه الزلات، وتُكفَّر السيئات، وينال العبد فيه رضا وعفو رب الأرض والسماوات.

١- قال المناوي: فتنة الرجل: أي ضلاله ومعصيته، أو ما يعرض له من الشر، ويدخل عليه من المكروه.
٢- في أهله: مما يعرض له معهم من نحو هَمٍّ وحزن، أو شغل بهم عن كثير من الخير، وتفريطه فيما يلزمه من القيام بحقهم وتأديبهم وتعليمهم.
٣- وماله: بأن يأخذه من غير حلّه، ويصرفه في غير محلّه، أو يشغله لفرط محبته عن كثير من الخيرات.
٤ - وفتنته في نفسه: بالركون إلى شهواتها ونحو ذلك.
٥- وفتنته في ولده: بفرط محبته، والشغل به عن المطلوبات الشرعية.
٦- وفي جاره: بنحو حسد، وفخر، ومزاحمة في حق، وإهمال في تعهد.
٧- إيمانا: أي صام رمضان تصديقا بما جاء في ذلك من نصوص الكتاب والسنة في فرضيته وفضله.
٨- واحتسابا: أي من صام رمضان طلبا لثواب الله تعالى ورغبة في الأجر، واحتسابه على الله، مخلصا لله في ثوابه. (انظر شرح النووي على مسلم: ٥/٢٨٦)

جـ- الصيام جنة من النار:

فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي عن عثمان بن أبي العاص ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: " **الصوم جُنَّة من عذاب الله** ". (صحيح الجامع: ٣٨٦٧)

- ***وفي رواية:*** " **الصيام جُنَّة من النار، كجُنَّة أحدكم من القتال** ". (صحيح الجامع: ٣٨٧٩)

- ***وفي رواية:*** " **الصيام جُنَّة، وحصن حصين من النار**". (صحيح الترغيب والترهيب: ٩٨٠) (صحيح الجامع: ٣٨٨٠)

وأخرج الإمام أحمد والطبراني بإسناد حسن عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " **لله ﷻ عند كل فطر عتقاء** ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٠١)

- ***وفي رواية:*** " **إن لله تعالى عند كل فطرٍ عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة** ". (صحيح الجامع: ٢١٧٠)

فأنعم به من شهر تُعْتَق فيه الرقاب من النار، ويُنَال فيه رحمة العزيز الغفار.

د- الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة:

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ** ". (صحيح الجامع: ٣٨٨٢)

قال ابن رجب-رحمه الله-: " فالصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام والشراب والنكاح ومقدماتها أو لا يختص كشهوة فضول الكلام المحرم، والنظر المحرم، والسماع المحرم، والكسب المحرم، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة، ويقول: يا رب منعته شهواته فشفعني فيه، فهذا لمن حفظ صيامه ومنعه من شهواته، فأما من ضيع صيامه ولم يمنعه مما حرمه الله عليه فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ويقول له: ضيعك الله كما ضيعتني.

فيا من ضيع عمره في غير الطاعة، يا من فرط في شهره بل في دهره وأضاعه، يا من بضاعته التسويف والتفريط وبئست البضاعة، يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة ". اهـ

(لطائف المعارف ص: ١٩٤)

هـ- نداء الريان لمعاشر الصُّوَّام:

أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال: " **إن في الجنة بابًا يقال له الرَّيان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلِق فلم يدخل منه أحد**".

- ***زاد الترمذي:*** " **ومَن دخله لم يظمأ أبدًا** ".

قال الزين بن المنير-رحمه الله- في الحديث السابق: **إنما قال:** " **في الجنة**"، **ولم يقل:** "**للجنة**" ليشعر بأن في الباب المذكور من النعيم والراحة ما في الجنة، فيكون أبلغ في التشوق إليه.

وقال عز الدين بن عبد السلام: " أما تخصيص دخولهم الجنة بباب الريان، فإنهم ميزوا بذلك الباب لتميز عبادتهم وشرفها ". (فوائد الصوم لعز الدين بن عبد السلام)

وقال المهلب-رحمه الله-: إنما أُفرد الصائمين بهذا الباب ليسارعوا إلى الري من عطش الصيام في الدنيا إكرامًا لهم واختصاصًا، ليكون دخولهم في الجنة هينًا غير متزاحم عليهم عند أبوابها، كما خص النبي ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ بباب في المسجد يقرب منه خروجه إلى الصلاة، ولا يزاحمه فيه أحد، وأغلق سائرها إكرامًا وتفضيلًا. (فتح الباري:٤/١٥)

و- الصوم سبيل لدخول الجنة:

أخرج البزار من حديث حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن خُتِمَ له بصيام يومٍ دخل الجنة ".

(صحيح الجامع: ٦٢٢٤)

قال المناوي-رحمه الله- في" فيض القدير:٦/١٢٣": أي مَن ختم عمره بصيام يوم، بأن مات وهو صائم، أو بعد فطره من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين، أو من غير سبق عذاب.

بل سيكون في أعلى الجنان:

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن في الجنة غرفًا يري ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلَّى بالليل والناس نيام ". (صحيح الجامع: ٢١٢٣)

- **فهنيئًا للصائمين هنيئًا لمَن أُعدَّت لهم هذه الغرف، وما أدراك ما الغرف.**

- ***فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة، كما تراءون الكوكب في السماء".

- ***وفي رواية عند البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

" أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ".

بل سيحشر مع الصديقين والشهداء:

وأخرج البزار وابن خزيمة عن عمرو بنِ مُرَّة الجُهَنِيِّ ﷺ قال: " جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليتُ الصلوات الخمس، وأديتُ الزكاة، وصمتُ رمضان وقمتُه، فمِمَّن أنا؟ قال: "من الصِّدِّيقين والشهداء ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٦١)

ورواه ابن خزيمة بلفظ: " جاء رجل من قضاعة إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وصمت رمضان وقمته، وآتيت الزكاة، فقال رسول الله: "من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء ".

قال ابن خزيمة-رحمه الله-: استحقاق قائمة اسم الصديقين والشهداء، إذا جمع مع قيامه رمضان صيام نهاره، وكان مقيمًا للصلوات الخمس، مؤديًا للزكاة شاهدًا لله بالوحدانية مُقِرًا للنبي ﷺ بالرسالة.

يقول ابن القيم-رحمه الله- كما في" زاد المعاد:٢/٢٩": " لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية؛ لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة، فيما يضرها في معاشها ومعادها، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه وتلجم بلجامه، فالصيام هو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئًا، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثارًا لمحبة الله ومرضاته. وهو سر بين العبد وربه لا يطَّلع عليه سواه، والعباد قد يطَّلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم. وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحمايتها من التخليط الجالب لها المواد الفاسدة، التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، **كما قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:١٨٣) وقال النبي ﷺ:" **الصيام جُنَّة**"، وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح، ولا قدرة له عليه بالصيام، وجعله وجاء هذه الشهوة. **والمقصود:** أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة، والفطر المستقيمة شرعه الله لعباده رحمة بهم، وإحساناً إليهم، وحمية لهم وجنة ". اهـ

أيـــا شهرَ الخيرِ يا أعظمَ شهـرٍ ... أنـــــزل اللهُ بـه أعظمَ ذكـر
يغفرُ الله لمـــن صام احتسابًـا ... كل ما أسلف مـن ذنب ووزرِ
وبيـــوت الله رَوْحٌ وعمـــــار ... بابتهـــالٍ وتراويـــحٍ ووتـرِ
وتـرى الناس إلى الفضل استباقًا ... بزكـــاة وبإحســـانٍ وبـــرِ
ذكريات النصر عطرٌ في شذاها ... والفتوحـــات ونـــاهيكَ ببـدرِ
إنـــــه الرحمـــة فينـا يتجلى ... ساعـة في ليلةٍ خُصت بقـدرِ
حسبها ما أودع الرحمـن فيهـــا ... فهي خير عنـده من ألف شهر

٣- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن خَصَّه اللهُ بصلاة التراويح، ولها فضل عظيم:

أ- مغفرة الذنوب:

كما مر بنا في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ".

فإذا قام المسلم رمضان تصديقًا بما أخبر به النبي ﷺ في فضله، واحتسابًا للثواب يرجو الله مخلصًا له القيام ابتغاء مرضاته وغفرانه، حصل له الثواب العظيم. (انظر شرح النووي على مسلم: ٢٨٦/٦)

قال الألباني-رحمه الله- في تعليقه على صحيح الترغيب والترهيب: " هذا الترغيب وأمثاله بيان لفضل هذه العبادات بأنه لو كان على الإنسان ذنوب تغفر له بسبب هذه العبادات، فإن لم يكن للإنسان ذنب يظهر هذا الفضل في رفع الدرجات كما في حق الأنبياء المعصومين من الذنوب ". اهـ

ب- استحقاق قائمة اسم الصديقين والشهداء:

ودليل ذلك ما أخرجه ابن خزيمة وابن حبان والبزار من حديث عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ ﷺ قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَصَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأَدَّيْتُ الزَّكَاةَ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَقُمْتُهُ، فَمِمَّنْ أَنَا ؟ قَالَ: مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ".

وفي رواية ابن خزيمة: " من مات على هذا كان مع الصديقين والشهداء ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٠٣)

جـ - من قام مع إمامه حتى ينتهي كُتِبَ له قيامُ ليلة:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إنه مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ ليلة ".

ولفظ أبي داود: " إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ ". (صحيح الجامع: ١٦١٥)

قال الألباني-رحمه الله- والشاهد من هذا الحديث قوله:" من قام مع الإمام...". فإنه ظاهر الدلالة على فضيلة قيام رمضان مع الإمام ".

وقال صاحب عون المعبود: " حصل له ثواب قيام ليلة تامة ". (مختصر قيام الليل ص:٩٤)

٤- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن جعل هذا الشهر أجره كاملًا، وإن كان تسعًا وعشرين يومًا:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي بكرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " شهران لا ينقصان، شهرا عيد: رمضان وذو الحجة ". (صحيح الجامع: ٣٧١٩)

وفيه أن رمضان وذا الحجة في الفضل سيان، وأن كل ما ورد في فضلهما وأجرهما وثوابهما حاصل بكماله، وإن كان الشهر تسعًا وعشرين. (انظر فتح الباري:١٥٠/٤) (المجموع:٢٥٣/٦)

٥- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن جعل فيه الدعاء مستجابًا:

وقد ذكر الله تعالى الدعاء بعد ذكر آيات الصيام فقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٥،١٨٦)

يقول ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره:١/٢١٩": ذكر الله تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشادًا إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وكذا كل فطر". اهـ

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد [1] قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ لله عتقاءَ في كلِّ يوم وليلة، لكلِّ عبد منهم دعوةٌ مستجابة ".

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: " يعني في رمضان ". (أطراف المسند لابن حجر:٧/٢٠٣)

وعند البزار عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ - يَعْنِي: فِي رَمَضَانَ- ، وَإِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٠٢) (صحيح الجامع:٢١٦٩)

فالصائم له دعوة مستجابة كما بَيَّن هذا الحبيب النبي ﷺ.

ففي الحديث الذي أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ: دَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلوم، وَدَعْوَةُ المسافر ". (صحيح الجامع:٣٠٣٠)

- *وفي رواية:* " ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ لاَ تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ لوَلَدِهِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ".

(الصحيحة:١٧٩٧) (صحيح الجامع: ٣٠٣٢)

وعند الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حتى يُفْطِرُ - *وفي رواية-* : حين يفطر - وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ".

(حسنه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار)

وأخرج بن ماجه والحاكم أن النبي ﷺ قال: " إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد[2] ".

قال ابن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- يقول إذا أفطر: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي ".

فأعظم به من دعاء يخرج من شفاه ذابلة من الصيام، يصعد إلى السماء فما يرده الله بكرمه.

١- قال محقق المسند: ١٢/ ٤٢٠: إسناده صحيح على شرط الشيخين، والشك في صحابي الحديث لا يضر.

٢- وهذا الحديث فيه مقال، فقد ضعفه ابن القيم-رحمه الله-، وقال الشيخ الألباني: إسناد هذا الحديث ضعيف". ويغني عنه ما قبله من الأحاديث الصحيحة.

٦- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن جعل فيه ليلة القدر، وهي ليلة خير من ألف شهر:

قال الزهري-رحمه الله-: سميت ليلة القدر لعظمها وقدرها وشرفها، من قولهم لفلان قدر: أي شرف ومنزلة، وهذه الليلة من حرم خيرها فهو المحروم ".

كما جاء في الحديث الذي أخرجه النسائي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أَتَاكُمْ شهر رَمَضَان، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أبواب الجنة، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، وفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ ".

(صحيح الجامع: ٥٥) (صحيح الترغيب والترهيب: ٩٩٩)

وفي رواية عن ابن ماجه من حديث أنس ﷺ قال: " دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٠٠)

فالمحروم هو الممنوع: الذي منع خيرها بأن لا يوفق لإحيائها والعبادة فيها، فهذا الذي منع الخير كله، وفاته الثواب الكامل أو الغفران الشامل الذي يفوز به القائم على إحيائها. (أفاده المباركفوري- رحمه الله-)

ولهذا كان النبي ﷺ يعتكف ويجتهد في العشر الأواخر التماسًا لتلك الليلة.

وهذه الليلة اختصها الله تعالى بإنزال القرآن فيها، وجعل العمل فيها خيرًا من العمل في ألف شهر.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر: ١-٥)

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله- في" تفسيره:٢/٢٥٩": قال بعضهم: معنى ذلك أن العمل في ليلة القدر بما يرضي الله، خير من العمل في غيرها ألف شهر. وقال مجاهد: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر. وقال قتادة: ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. وسرد ابن جرير الطبري أقوالًا أخرى، ثم قال: وأشبه الأقوال في ذلك بظاهر التنزيل قول من قال: عمل في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر. اهـ.

- **كما اختص الله تعالى هذه الليلة بأن من قامها لله إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.**

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ".

٧- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن جعل العُمرة فيه تعدل أجر حجة:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ لِامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهَا أُمُّ سِنَانٍ:"مَا مَنَعَكِ أَنْ تَكُونِي حَجَجْتِ مَعَنَا؟" قَالَتْ :نَاضِحَانِ [1] كَانَا لِأَبِي فُلَانٍ - زَوْجِهَا- حَجَّ هُوَ وَابْنُهُ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَكَانَ الْآخَرُ يَسْقِي عَلَيْهِ غُلَامُنَا [أرضا لنا]، فقالَ النبي ﷺ:" فإن عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً ". أَوْ "حَجَّةً مَعِي ".

- وفي لفظ مسلم:" فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرةً فيه تعدل حجة ".

فالنبي ﷺ أعلم أمَّ سنان أن العمرة في رمضان تعدل الحجة في الثواب، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض، للإجماع على أن الاعتمار لا يجزئ عن حج الفرض، وهذا الحديث فضل من الله ونعمة على عبده المؤمن، وفيه أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت، كما يزيد بحضور القلب، وبخلوص القصد.

(انظر فتح الباري لابن حجر: ٣/٦٠٤)

وقال المناوي-رحمه الله- في فيض القدير: ٤/٣٦١: وقول النبي ﷺ:" عمرة في رمضان تقضي حجة " أي تقابلها وتماثلها في الثواب، لأن الثواب يفضل بفضيلة الوقت، ولا تقوم مقامها في إسقاط الفرض بالإجماع ". اهـ

وقال ابن العربي- وهو من أئمة المالكية-: في الحديث السابق: وفي هذا فضل من الله ونعمة، فقد نزلت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها ". اهـ بتصرف

٨- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن من فطر فيه صائمًا فله مثل أجره:

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن فطَّرَ صائمًا كانَ لَهُ مثلُ أجرِهِ، غيرَ أنَّهُ لا ينقُصُ من أجرِ الصَّائمِ شيئًا ".

(صحيح الترمذي: ٨٠٧) (صحيح الجامع: ٦٤١٥)

وفي هذا الحديثِ يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ:" **مَن فطَّرَ صائمًا**"، أي: أطعَمَه حين وجَبَ الإفطارُ،" **كان له مثْلُ أجْرِه**"، أي: مثْلُ أجْرِ هذا الصَّائمِ،" **غيرَ أنَّه لا ينقُصُ من أجْرِ الصَّائمِ شيئًا**"، أي: لكلَيْهما أجْرٌ، لا يأخُذُ هذا من أجْرِ هذا، ولعَلَّه أردَفَ بالتَّنبيهِ على عدَمِ نُقصانِ أجْرِ الصَّائمِ؛ حتَّى لا يُتَوَهَّمَ مِن إعطاءِ الَّذي أطعَمَه مثْلَ أجْرِه نُقصانُ بعْضِ أجْرِ الصَّائمِ، وهذا من عظيمِ فضْلِ اللهِ على عِبادِه، وواسِعِ كَرمِه وفضْلِه عليهم. (الدرر السنية)

١- ناضحان: والناضح هو البعير أو الثور أو الحمار الذي يستسقى عليه، لكن المراد به في هذا الحديث هو البعير، لتصريحه في رواية أبي داود بكونه جملا. (فتح الباري: ٣/٦٠٤)

٩- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن من أكل أو شرب ناسيًا فليتم صومه:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من نسِي وهو صائمٌ فأكل وشرب فليتمَّ صومَه، فإنَّما أطعمه اللهُ وسقاه ".

– ***وفي رواية:*** " مَن أكَلَ ناسِيًا وهو صائِمٌ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ؛ فإنَّما أطْعَمَهُ اللَّهُ وسَقاهُ ".

وفي هذا الحَديثِ بيَّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ مَن أكَل أو شَرِب ناسيًا وهو صائمٌ، فإنَّه يَبْقَى على صِيامِه، ولا يُفطِرُ، وخَصَّ الأكلَ والشُّربَ مِن بينِ المُفَطِّراتِ؛ لغَلَبَتِهما، ونُدرةِ غيرِهما، كالجِماعِ، ثُمَّ بيَّن أنَّه لا يَلزَمُه القَضاءُ بقولِه:" فإنَّما أطعَمه اللهُ وسَقاه"، فنَسَبَ الفِعلَ للهِ تعالَى لا للنَّاسِي؛ للإشعارِ بأنَّ الفِعلَ الصَّادرَ منه مَسلوبُ الإضافةِ إليه، فلوْ كان أفْطَرَ لأُضِيفَ الحُكمُ إليه، وهذا لُطفٌ مِن اللهِ تعالَى بعِبادِه، ورَحمةٌ بهم. وهذا بخِلافِ المتعَمِّدِ؛ فإنَّه يقضي اليومَ ولا كفَّارةَ عليه. (الدرر السنية)

١٠- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن من نام وهو ينوي أن يقوم من الليل ليصلي، فغلبته عينه حتى أصبح، كتب له أجر القيام وكان نومه عليه صدقة من ربه:

فقد أخرج النسائي وابن ماجه من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن أتى فراشَه وَهوَ ينوي أن يقومَ يصلِّي منَ اللَّيلِ، فغلَبتهُ عيناهُ حتَّى أصبحَ كُتِبَ لَه ما نَوى وَكانَ نومُهُ صدقةً عليهِ من ربِّهِ، عزَّ وجلَّ ". (صحيح النسائي: ١٧٨٦)

– ***وفي رواية:*** " من كانت لَه صلاةٌ صلَّاها منَ اللَّيلِ، فَنامَ عنها كانَ ذلِك صدقةً تصدَّقَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عليهِ، وَكتبَ لَه أجرَ صلاتِهِ ". (صحيح النسائي: ١٧٨٤)

وفي الحديثِ: بيانُ فَضْلِ اللهِ تعالى ورحمته على عِبادِه في العَطاءِ والثَّوابِ، وأنَّه يكتب أجر ما نوى عليه العَبد في أداء العِبادة ثم غُلِب عليه ولَم يُؤدِّها لعذر.

١١- ومن رحمة الله تعالى في رمضان: أن المرأة إذا حاضت فإنها تُفطر، وعندما تطهُر تقضي الصيام ولو متفرقًا، ولا تقضي ما فاتها من الصلاة:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي سعيد ﷺ قال: قال النبي ﷺ: " أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم؟ فذلك نقصان دينها".

وأخرج الإمام مسلم عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: " كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة ".

تنبيه: إذا طهرت أثناء النهار، فإنها تأكل وتشرب وتتمادى في فطرها ولا تمسك.

١٢- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن وضع الصيام عن أهل الأعذار كالمريض، والمسافر، والشيخ الكبير، والمرأة العجوز، والحامل، والمرضع، وأصحاب الأعمال الشاقة:

أما بالنسبة للمريض والمسافر:

وقد أجمع العلماء على إباحة الفطر للمريض والمسافر، **وذلك لقوله تعالى:** ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)

- وإذا كان المرض مما يرجى برؤه وشفاؤه، فيجب عليه أن يقضيه في أيام أُخَر كما ورد ذلك في الآية.

- وإذا كان المرض مما لا يرجى برؤه، بأن كان المرض مرضًا مزمنًا، فيطعم عن كل يوم مسكينًا، وهنا يلحق بالشيخ الكبير، والمرأة العجوز.

أما بالنسبة للمسافر: فهو مخير بين كونه يصوم إن لم يكن هذا الصيام يعوقه عن فعل الخير، وله أن يفطر، ***وذلك للحديث الذي أخرجه ابن حبان من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله*** ﷺ: " إنَّ اللهَ يُحبُّ أن تُؤتَى رُخَصُه، كما يُحبُّ أن تُؤتَى عزائمُه ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٦٠)

وإذا كان الصوم يعوقه عن فعل الخير؛ فالفطر في حقه أولى.

أما الشيخ الكبير، والمرأة العجوز:

أجمع العلماء على أن الشيخ والعجوز العاجزين عن الصوم يجوز لهما الفطر ولا قضاء عليهما، ولكن اختلفوا فيما عليهما إذا أفطرا، **والراجح وهو قول الجمهور**: يطعمان عن كل يوم مسكينًا.

وذلك لما أخرجه البخاري عن عطاء أنه قال: " سمعت ابن عباس-رضي الله عنهما- يقرأ هذه الآية: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ فقال ابن عباس-رضي الله عنهما-: ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فليطعما مكان كل يوم مسكينًا".

أما الحامل، والمرضع:

فلا خلاف أنه يجوز لهما الفطر. ***وذلك لما أخرجه الإمام أحمد أن النبي*** ﷺ ***قال:*** " إن الله ﷻ وضع عن المسافر شطر الصلاة، وعن المسافر والحامل والمرضع الصوم ".

ولكن اختلف العلماء فيما يجب على الحامل أو المرضع إذا أفطرتا. **والراجح:** أن عليهما الإطعام فقط دون القضاء، وهو قول ابن عباس، وابن عمر-رضي لله عنهم- وهذا ما رجحه الشيخ الألباني-رحمه الله-، ***وذلك لما أخرجه الدارقطني عن ابن عباس-رضي الله عنهما-:*** " أنه كان يقول لوليدة له كانت حبلى فأمرها أن تفطر، وقال لها: أنت بمنزلة الكبير الذي لا يطيق الصيام، فأفطري وأطعمي عن كل يوم نصف صاع من حِنْطَة ". - ***وفي رواية:*** " عليك أن تطعمي كل يوم مسكينًا ولا قضاء عليك ".

وعند الدارقطني عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: " أن امرأته سألته وهي حبلى؟ فقال: أفطري وأطعمي عن كل يوم مسكينًا ولا تقضي ".

وعند الدارقطني كذلك عن نافع قال: " كانت بنت لابن عمر -رضي الله عنهما- تحت رجل من قريش وكانت حاملًا، فأصابها عطش في رمضان، فأمرها ابن عمر أن تفطر وتطعم عن كل يوم مسكينًا ".

تنبيه: القول بالقضاء هو قول قوي أيضًا، فمن قَوِيت على القضاء فلتقضِ، وإن عجزت فلتطعم كما تقدَّم.

١٣- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن جعل صيام رمضان أيامًا معدودات:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾

(البقرة: ١٨٣، ١٨٤)

ومن رحمة الله تعالى بنا في هذا الشهر المبارك أنه لم يجعل رمضان كله صيامًا، بل جعل الصيام في نهار رمضان دون الليل، فأباح لنا الطعام والشراب والجماع في الليل لنعوض ما فقدناه بالنهار، ونستعد لصيام يوم جديد، وهذا فيه من الراحة البدنية والنفسية للإنسان، وهذا من رحمة الملك الديان سبحانه وتعالى.

ومن صور رحمته تعالى الخاصة بأيام رمضان أنك تجد أن شهر رمضان من الأشهر القمرية، ومن المعلوم أن السنة القمرية أقل من السنة الشمسية بحوالي أحدى عشرة يومًا، فعلى هذا يتقدم شهر رمضان في كل عام أحد عشرة يومًا، وعلى هذا ففي خلال ستة وثلاثين عامًا لا يبقى يوم من أيام السنة إلا وقد صامه المسلم، ويشهد هذا اليوم له عند الله تعالى؛ اليوم القصير.. واليوم الطويل.. واليوم الحار.. واليوم البارد.. وبذلك يتساوى المسلمون في كل أقطار الدنيا في مقدار الصيام وشدته، ولولا هذا لكان نصيب أهل المناطق الحارة أشد من نصيب أهل المناطق الباردة، وناس يصومون يومًا طويلًا أبد الدهر، وناس يصومون يومًا قصيرًا أبد الدهر، وصدق الله تعالى حيث قال عندما تكلم عن الصيام: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٥)

١٤- ومن رحمته تعالى الخاصة بأيام وليالي رمضان: أن الله تعالى علق الصيام والإمساك على علامتين يسهل تمييزهما وهما: طلوع الفجر، وغروب الشمس:

وفي ذلك ضبط للوقت يستطيعه أي إنسان في أكثر مناطق العالم، **كما قال تعالى:** ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ (البقرة:١٨٧)

١٥- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن شرع لنا زكاة الفطر بعد رمضان طهرة للصائم من اللغو والرفث:

فقد أخرج أبو داود وابن ماجه من حديث ابنِ عبَّاسٍ-رضي الله عنهما- قالَ: فرضَ رسولُ اللَّهِ ﷺ زَكاةَ الفطرِ طُهرةً للصَّائمِ منَ اللَّغوِ[١] والرَّفثِ[٢]، وطعمةً للمساكينِ، من أدَّاها قبلَ الصَّلاةِ فَهيَ زَكاةٌ مقبولةٌ، ومن أدَّاها بعدَ الصَّلاةِ فَهيَ صدقةٌ منَ الصَّدقاتِ ". (صحيح أبي داود: ١٦٠٩)

١٦- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن شرع لنا صيام ستة أيام بعد رمضان، ويعدل هذا صيام الدهر:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن صامَ رَمَضانَ ثُمَّ أتْبَعَهُ سِتًّا مِن شَوَّالٍ، كانَ كَصِيامِ الدَّهْرِ ".

وهذا مِن عَظيمِ فَضلِ اللهِ عَلى عِبادِه المُسلمينَ بمُضاعفةِ الأَجرِ لَهم. ويُفسِّرُ هذا قولُه تَعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام:١٦٠) وشَهرُ رَمضانَ بمَنزلةِ عَشرةِ أَشهُرٍ، وصِيامُ ستَّةِ أيَّامٍ بعْدَ الفِطرِ تَمامُ السَّنةِ.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والنسائي في" الكبرى" وابن ماجه من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " صيامُ شهرِ رمضانَ بعشرةِ أشهرٍ، وصيامُ ستّةِ أيّامٍ بعدهُ بشهرين، فذلك صيامُ السَّنة ". (صحيح الجامع:٣٨٥١)

- وفي رواية: " جعلَ اللهُ الحسنةَ بعشرِ أمثالِها، الشهرُ بعشرةِ أشهرٍ، وصيامُ ستَّةِ أيامٍ بعد الشَّهرِ تمامُ السَّنةِ ". (رواه أبو الشيخ في" الثواب" وهو صحيح الجامع: ٣٠٩٤)

١- اللَّغو: يَعني الكلام الباطِل.
٢- والرَّفث: هو القوْلُ الفاحِشُ.

١٧- ومن رحمة الله تعالى بعباده في رمضان: أن شرع لنا الصيام لتحصيل التقوى، والتي هي أصل سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٨٣)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " ذكر الله تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه ". اهـ

وقد اختلفت تعبيرات السلف والعلماء في تعريف التقوى، وكل هذه التعبيرات تدور حول مفهوم واحد وهو: أن يأخذ العبد وقايته من سخط الله ﷻ وعذابه، وذلك بامتثال المأمور، واجتناب المحذور.

التقوى هي أجمل لباس يتزين به العبد:

قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف:٢٦)

وكما أن التقوى أجمل لباس يتزين به العبد فإنها أفضل زاد يتزود به العبد ليوم القيامة:

قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة:١٩٧)

الله -عز وجل- جعل التقوى هي الميزان الذي يُوزن به الناس، وبه يتفاضلون:

فالناس يتفاضلون بالتقوى، لا بميزان الحسب والنسب والمال والشهرة. **قال تعالى:** ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣) **وهذا الميزان كذلك هو ميزان النبي ﷺ الذي يزن به الناس.**

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: " قيل يا رسول الله! من أكرم الناس؟ قال: " أتقاهم لله ".

ولمكانة وشرف التقوى أمر الله -عز وجل- المسلمين بالتعاون عليها:

قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة:٢)

ولشرف التقوى وأهميتها نجد أن الله يوصي بها الأولين والآخرين:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (النساء:١٣١)

والتقوى أصل سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولها ثمرات عاجلة، وآجلة [١]:

أولًا: الثمرات العاجلة:

١- المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق:٢،٣)

[١] - ما أذكره في الثمرات العاجلة والآجلة ما هو إلا عناوين فقط، ومن أراد البسط والشرح والتفصيل فليرجع إلى رسالة المؤلف والتي بعنوان: هل حققت مقصود الصيام؟ فارجع إليها مشكورًا، غير مأمور.

٢- التقوى سبب للسهولة واليسر في كل أمر:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق:٤)

٣- التقوى سبب لمحبة الله -عز وجل-، ومحبة ملائكته، والقبول في الأرض:

قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:٧٦)

- وأخرج الإمام مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلانا فأحبه، فيحبه جبريل -عليه السلام-، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض ".

وكتب أبو الدرداء ﷺ إلى مسلمة بن خالد: " سلام عليكم أما بعد: فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حببه إلى عباده ".

٤- التقوى سبب لإطلاق نور البصيرة، فيفرق بين الحق والباطل، والخير والشر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنفال:٢٩)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحديد:٢٨) فيالها من بشرى للمتقين: يؤتيهم الله كفلين أي: ضعفين من رحمته.

٥- التقوى سبب لتيسير العلم النافع:

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٨٢)

٦- والتقوى تدخل صاحبها ولاية الله:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (الجاثية:١٩)

قال تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال:٣٤)

٧- التقوى سبب للبشرى وهي الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم:

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (يونس:٦٢-٦٤)

قيل: إن البشرى هي الرؤيا الصالحة، **وقيل:** البشرى هي محبة الناس له، والذكر الحسن. **وقيل:** هي البشارة عند الموت **كما قال تعالى:** ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ (فصلت:٣٠)

وصدق ربنا حيث قال: ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف:٣٥)

٨- التقوى سبب للحفاظ من كيد الأعداء ومكرهم، وهي باب النصر والمدد من الله:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران:١٢٠)

قال ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره:١/٣٢٩": " يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة إلا به، وهو الذي ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ". اهـ

٩- التقوى سبب للمعية الخاصة، وهي سبب في نصرة الله -عز وجل- وتأييده وتسديده:

وهذه المعية هي المقصودة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل:١٢٨)

وبقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:١٩٤)

فهذه المعية هي معية التأييد والنصرة والتسديد، وهي معية الله لأنبيائه وأوليائه، ومعيته للمتقين والصابرين.

١٠- التقوى سبب النجاة من عذاب الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (فصلت:١٧،١٨)

١١- التقوى سبب لنزول البركات من السماء والأرض، ورفع البلايا والأزمات:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف:٩٦).

١٢- التقوى سبب لحفظ الذرية الضعاف بعناية الله -عز وجل-:

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء:٩)

قال القاسمي -رحمه الله- في محاسن التأويل: " وفي الآية إشارة إلى إرشاد الآباء الذين يخشون ترك ذرية ضعاف؛ بالتقوى في سائر شؤونهم حتى تحفظ أبناؤهم وتغاث بالعناية منه تعالى؛ ويكون في إشعارها بتهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف ".

قال ابن المسيب-رحمه الله- لابنه: " يا بني إني لأزيد في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك وتلا هذه الآية ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف:٨٢) (جامع العلوم والحكم:١/١٨٧)

١٣- التقوى سبب لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:٢٧)

قال بعض السلف: لو أعلم أن الله تقبل منى سجدة واحدة لتمنيت الموت، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[١].

١- رواه ابن عبد البر في" التمهيد :٤/٢٦٥" ولفظه: جاء سائل إلى ابن عمر-رضي الله عنهما- فقال لابنه أعطه دينارًا، فقال له ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه، فقال: لو علمتُ أن الله تقبل مني سجدة واحدة، أو صدقة درهم واحد لم يكن غائبٌ أحب إليَّ من الموت، أتدري ممن يتقبل الله؟ إنما يتقبل الله من المتقين ".

ثانياً: ثمرات التقوى الآجلة:

١- التقوى سبب لتكفير السيئات، وتعظيم الأجر:

وتكفير السيئات سبب للنجاة من النار، وعظم الأجر وهو سبب الفوز بدرجات الجنة.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (الطلاق:٥)

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ (المائدة:٦٥)

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (الأحزاب:٧٠،٧١)

٢- أهل التقوى لهم عز الفوقية فوق الخلق يوم القيامة:

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (البقرة:٢١٢)

٣- أهل التقوى تجمعهم التقوى تحت مظلة المحبة والخلة حين تنقلب كل صداقة ومحبة إلى عداوة ومشاقة:

قال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٦٧)

ومن بركة التقوى كذلك ينزع الله ﷻ ما قد يعلق بقلوبهم من الضغائن والغل فتزداد مودتهم وتتم محبتهم وصحبتهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ (الحجر: ٤٥-٤٧)

٤- والتقوى سبب النجاة من شدائد الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الزمر:٦١)

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم:٧١،٧٢)

وصدق ربنا حيث قال وقوله الحق: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ (الليل:١٧-٢١)

٥- والتقوى سبب للمغفرة والرحمة:

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء:١٢٩)

٦- التقوى سبيل لدخول الجنة:

قال تعالى: ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ (آل عمران: ١٩٨)

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى[1] الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ (الرعد:٣٥)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ[2] وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (الحجر:٤٥-٤٨)

وقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٣٠-٣٢)

وقال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ[3] لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (ق:٣١-٣٥)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات:١٥-١٩)

وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٣)

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (المائدة:٦٥)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (الدخان:٥١-٥٧)

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ[4] وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (محمد:١٥)

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران:١٤،١٥)

---

١ - عقبى: أي عاقبتها المحمودة وهي الجنات.
٢ - نصب: أي تعب وإعياء.
٣ - أزلفت الجنة: أي قربت وأدنيت.
٤ - ماء غير آسن: أي غير متغير ولا منتن.

٧- أهل التقوى لهم ميراث الجنة فهم أحق الناس بها:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم:٦٣)

وقال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١٣٣)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (القلم:٣٤)

٨- وأهل التقوى لا يذهبون إلى الجنة سيراً على أقدامهم بل يحشرون إليها ركبانا:

مع إن الله ﷻ يقرب إليهم الجنة تحية لهم ودفعًا لمشقتهم، كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (ق:٣١)

ومع هذا يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم:٨٥)

قال عليٌّ بن أبي طالب ﷺ: " ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكنهم على نوق رحالها ذهب، وعلى نجائب سروجها ياقوت". (أخرجه ابن أبي شيبة)

٩- أهل التقوى يسعدون بالصحبة والمحبة وهم يساقون إلى الجنة زمراً زمراً:

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا[١] حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر:٧٣)

١٠- وأهل التقوى يفوزن بأعلى الدرجات في الجنة:

قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ (الزمر:٢٠)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا[٢] (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا[٣] (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ (النبأ:٣١-٣٦)

وقال تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص:٤٩)

والمآب هو المرجع والمنقلب ثم فصل ذلك عز وجل **فقال تعالى:** ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ[٤] أَتْرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (ص:٥٠-٥٤)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المرسلات:٤١-٤٣)

١- زمرا: أي جماعات متفرقة متتابعة.
٢ - كواعب أترابا: فتيات ناهدات مستويات في السن.
٣ - كأسًا دهاقا: أي: مترعة مليئة من خمر الجنة.
٤- قاصرات الطرف: حور لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

وبين الله تعالى قربهم وفوزهم باللقاء والرؤية والبهاء **فقال تعالى:** ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ (ص:٥٤،٥٥)

قال القرطبي-رحمه الله- في تفسيره" الجامع لأحكام القرآن: ٧/٦٣٢٠": ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ أي: يقدر على ما يشاء، (وعند) هاهنا عندية القربة والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة.

ولا عجب من ذلك فقد جمع الله ﷻ للمتقين كل نعيم الآخرة:

قال تعالى: ﴿وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف:٣٥)

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص:٨٣)

ووصف دارهم فقال تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (النحل:٣٠)

قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (القلم:٣٤)

فعليك بتقوى الله فالزمها تفز ... إن التقي هو البهيُّ الأهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا ... إن المطيع لـه لديـه مُقربُ

وقال الأعشى:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ألا تكـن كمثلـه ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

فالحمد لله أن مَنّ علينا بنعمة الحياة حتى أدركنا رمضان، فهي نعمة عظيمة؛ بل هي من أفضل نعم الله علينا ورحمته بنا، ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا من وقف على هذا الحديث:

حديث أخرجه ابن ماجه بسند صحيح من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: " أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَلِيٍّ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا جَمِيعًا، فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْآخَرِ، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِهِمَا، فَخَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ، فَقَالَ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ، فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ فَعَجِبُوا لِذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: " مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ "! فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا كَانَ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا ثُمَّ اسْتُشْهِدَ، وَدَخَلَ هَذَا الْآخِرُ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً "، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: " وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ، وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟ – وفي رواية للإمام أحمد والبيهقي " أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ، أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً لصَلَاةِ السَّنَةِ "، قَالُوا: بَلَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ". (السلسلة الصحيحة: ٢٥٩١)

ثانياً: صور من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٧)

من مظاهر فضل الله تعالى على الناس أن أرسل إليهم نبيه ﷺ ليكون رحمة لهم فقال: ﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾. أي: وما أرسلناك- أيها الرسول الكريم- بهذا الدين الحنيف وهو دين الإسلام، إلا من أجل أن تكون رحمة للعالمين من الإنس والجن. وذلك لأننا قد أرسلناك بما يسعدهم في دينهم وفي دنياهم وفي آخرتهم متى اتبعوك، واستجابوا لما جئتهم به، وأطاعوك فيما تأمرهم به أو تنهاهم عنه.

وفي الحديث الشريف:" **إنما أنا رحمة مهداة**"، فرسالته ﷺ رحمة في ذاتها، ولكن هذه الرحمة انتفع بها من استجاب لدعوتها، أما من أعرض عنها فهو الذي ضيع على نفسه فرصة الانتفاع. **(التفسير الوسيط)**

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " يمتن الله تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم.﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم. ولهذا كان حقه مقدمًا على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره ". اهـ

فكان رسول الله ﷺ يعلم الجاهل برفق، ويحنو على الضعيف المسكين، ولا يعاتب من أذنب وجاء تائبًا مستفتيًا؛ والنماذج على ذلك كثيرة من سيرته ﷺ والتي تفيض بالحب، والعطف، والرحمة، والرفق، والنصح، والتيسير. **وهو القائل** ﷺ:"... **إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا** ".

(رواه مسلم من حديث جابر ﷺ)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: " **قِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ علَى المُشْرِكِينَ قالَ: إنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وإنَّما بُعِثْتُ رَحْمَةً** ".

والمواقف التي تتجلى فيها رحمة النبي ﷺ كثيرة، ومنها: الرفق بمن تكلم في الصلاة، والرفق بمن جاءه يستأذنه ﷺ في الزنا، والرفق بمن جاء يسأله ﷺ عن أمر دينه، والرفق بمن رفع صوته في المسجد، والرفق بمن بال في المسجد... وغيرها من المواقف العديدة، **وحيث أن الحديث عن رمضان، فسيكون الحديث عن نماذج من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان، ومنها:**

١- حث الأمة الإسلامية على السحور:

أخرج النَّسَائِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ الحَارِثِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ[١]: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَتَسَحَّرُ فَقَالَ:" إِنَّهَا بَرَكَةٌ أَعْطَاكُم اللَّهُ إِيَّاهَا فَلَا تَدَعُوهَا ". أَيْ: فَلَا تَتْرُكُوهَا.

(صحيح الترغيب والترهيب:١٠٦٩) (صحيح الجامع:١٦٣٦)

وَأخرج الإمامُ أحمد وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِي عَنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ قَالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ وهو يَدعو إلى السَّحورِ في شهرِ رمضانَ المباركِ، وقال: هلمُّوا إلى الغداءِ المباركِ". (صحيح النسائي :٢١٦٢)

وأخرج الإمام أحمد والنسائي واللفظ له، عن المقدام بن معدي كرب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" عليكُم بهذا السَّحورِ، فإنَّه هو الغَداءُ المبارَكُ ". (صحيح النسائي: ٢١٦٣) (صحيح الجامع:٤٠٨١)

وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" السحور أكلة بركة فلا تدعوه، ولو أن يتجرَّع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله ﷻ وملائكته يُصلُّون[٢] على المتسحرين ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٦٩) (صحيح الجامع:٣٦٨٣)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" تَسَحَّروا فإن في السحور بركة".

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:" إن البركة في السحور تحصل بجهات متعددة: وهي اتباع السنة، ومخالفة أهل الكتاب[٣]، والتقوِّي به على العبادة، والزيادة في النشاط، ومدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع، والتسبب بالصدقة على مَن يسأل إذ ذاك أو يجتمع معه على الأكل، والتسبب للذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة، وتدارك نِيَّة الصوم لمَن أغفلها قبل أن ينام ". (فتح الباري شرح صحيح البخاري:٤/٢٥٠)

٢- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: أنه حثهم على تأخير السحور:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال:" لا يزال الناس بخير ما عجَّلُوا الفطر". - زاد الإمام أحمد:" وأخَّرُوا السحور".

والحكمة من تأخير السحور أنه أرفق بالصائم، وأقوى على العبادة، وألا يزاد في النهار من الليل، وتعجيل الفطر وتأخير السحور من خصائص هذه الأمة. (فيض القدير للمناوي-رحمه الله-)

١- جهالة الصحابي في السند لا تضر، إذ أن الصحابة- رضي الله عنهم- كلهم عدول.

٢- صلاة الله: هي الثناء على العبد في الملأ الأعلى (نقل هذا عنه البخاري في صحيحه). وصلاة الملائكة: هي الدعاء للعبد كما ورد في الحديث الذي أخرجه الإمام مالك عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ:" إذا صلى أحدكم، ثم جلس في مصلاه لم تزل الملائكة تصلي عليه: اللهم اغفر له: اللهم اغفر له [اللهم تب عليه]...". الحديث.

٣- كما ثبت ذلك في "صحيح مسلم" عن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" فصلُ ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أَكَلَةُ السَّحَر". أي الفارق والمميز بين صيامنا وصيامهم: السحور، فإنهم لا يتسحرون ونحن يستحب لنا السحور. (أفاده النووي)

وقال ابن دقيق العيد-رحمه الله-: ومما يعلل به استحباب السحور: المخالفة لأهل الكتاب لأنه ممتنع عندهم، وهذا أحد الوجوه المتقضية للزيادة في الأجور الأخروية، فإن إقامة السنة توجب الأجر وزيادته، ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية من قوة البدن على الصوم وتيسيره من غير إجحاف به".

(إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد)

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس عن زيد بن ثابت ﷺ قال: **" تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة، قلت: كم بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية[1] ".**

وتأخير السحور أعون على الصوم، وأرفق بالصائم، وأسلم من النوم عن صلاة الفجر.

واستظهر ابن أبي جمرة العلة في استحباب تأخير السحور فقال-رحمه الله-: " كان النبي ﷺ ينظر ما هو الأرفق بأمته فيفعله، لأنه لو لم يتسحر لتبعوه، فيشق على بعضهم، ولو تسحر في جوف الليل لشق أيضًا على بعضهم ممن يغلب عليه النوم، فقد يفضي إلى ترك الصبح، أو يحتاج إلى المجاهدة بالسهر ".

(فتح الباري:٤/١٣٨)

وأخرج النَّسَائِيُّ عَنْ أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ- وذلك عند السحور-: **" يا أنس! إني أريد الصيام، أطعمني شيئًا، فأتيته بتمر وإناء فيه ماء، وذلك بعدما أذن بلال ".** أي بعد الأذان الأول.

كما جاء في رواية البخاري من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: **" إنَّ بلَالًا يُؤَذِّنُ بلَيْلٍ، فَكُلُوا واشْرَبُوا حتَّى يُنَادِيَ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، ثُمَّ قالَ: وكانَ رَجُلًا أعْمَى، لا يُنَادِي حتَّى يُقالَ له: أصْبَحْتَ أصْبَحْتَ ".**

فمن رحمة النبي ﷺ بنا: أنه يحثنا على تأخير السحور لندرك وقت السحر، وفيه تصفو النفوس، ويخلو العبد بربه، حيث ينزل الملك سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا، ليجيب دعوة السائل، ويقبل توبة التائب.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" يَنْزِلُ رَبُّنا- تَبارَكَ وتَعالَى- كُلَّ لَيْلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْألُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُني فأغْفِرَ له؟".**

وهو أيضًا من أفضل أوقات الاستغفار: وقد أثنى الله تعالى على المستغفرين في هذا الوقت **قال تعالى:**

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران:١٧)

وأخرج الترمذي والنسائي من حديث عمرو بن عبسة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" أقربُ ما يكونُ الربُّ من العبدِ في جوفِ الليلِ الآخرِ فإنِ استطعْتَ أن تكونَ ممن يذكرُ اللهَ في تلْكَ الساعَةِ فكُنْ ".**

(صحيح النسائي: ٥٨٣)

٣- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: أنه شرع لمن كان يشرب ثم سمع نداء الفجر، فله أن يكمل شرابه حتى يرتوي، ***وذلك للحديث الذي أخرجه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:*** **" إذا سَمِع أحدُكم النِّداءَ والإناءُ على يدِه، فلا يَضَعْه حتى يَقضيَ حاجتَه منه[2]".** (صحيح الجامع:٦٠٧)

١- قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- كما في "فتح الباري:٤/١٣٨": قال المهلب وغيره:" فيه تقدير الأوقات بأعمال البدن وكانت العرب تقدر الأوقات بالأعمال كقولهم: قدر حلب شاة، وقدر نحر جزور، فعدل زيد بن ثابت ﷺ عن ذلك إلى التقدير بالقراءة إشارة إلى أن ذلك الوقت كان وقت العبادة بالتلاوة ".

٢- ضعف هذا الحديث بعض أهل العلم، وصححه الألباني-رحمه الله- في(صحيح الجامع:٦٠٧).

٤- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: أن شرع لهم تعجيل الإفطار:

فقد أخرج البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: كُنَّا مع رَسولِ اللَّهِ ﷺ في سَفَرٍ وهو صَائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِبَعْضِ القَوْمِ: يا فُلَانُ، قُمْ فَاجْدَحْ لَنَا[1]، فَقَالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، لو أمْسَيْتَ، قَالَ: انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا، قَالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، فلوْ أمْسَيْتَ، قَالَ: انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا، قَالَ: إنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا، قَالَ: انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا، فَنَزَلَ فَجَدَحَ لهمْ، فَشَرِبَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: إذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قدْ أقْبَلَ مِن هَاهُنَا، فقَدْ أفْطَرَ الصَّائِمُ.

مِنَ المَعلومِ أنَّ الخَيرَ كُلَّ الخَيرِ في اتِّباعِ هَدْيِ النَّبيِّ ﷺ، والشَّرَّ كُلَّ الشرِّ يَأتي مِن الابتداعِ في الدِّينِ، ولَمَّا كان الصِّيامُ مِن أجلِّ العِباداتِ وأعظَمِ القُرُباتِ، كان لِزامًا على المُسلِمِ أنْ يَلتزِمَ هَدْيَ النَّبيِّ ﷺ فيه الَّذي حثَّ على تَعجيلِ الفِطرِ، وهذا أرفَقُ بالصَّائِمِ، وأقوى في قَبولِ الرُّخصةِ، وشُكرِ النِّعمةِ.

وتعجيل الإفطار كان من هدي النبي-صلى الله عليه وسلم-:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أنس ﷺ قال: " كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء ".

(صحيح الترمذي:٦٩٦) (الصحيحة:٢٨٤٠) (صحيح الجامع:٤٩٩٥)

ذكر ابن القيم-رحمه الله- فوائد الرطب والتمر فقال كما في زاد المعاد:٤/٢٩١" : وهو مقوي للكبد، ملين للطبع، يزيد من الباءة: أي الجماع، وهو أكثر الثمار تغذية للبدن، فهو فاكهة، وغذاء، ودواء، وشراب، وحلو ". اهـ

- وأخرج أبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان من حديث أنس ﷺ قال: " ما رأيت رسول الله ﷺ قط صلى صلاة المغرب حتى يفطر، ولو على شربة من ماء ". (صحيح الترغيب والترهيب:١٠٧٦)

وتعجيل الفطر حث عليه النبي- صلى الله عليه وسلم- أمته:

فقد أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أم حكيم- رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " عجلوا الإفطار، وأخروا السُّحُورِ". (صحيح الجامع:٣٩٨٩) (الصحيحة:١١١٣)

وأخرج ابن عدي في الكامل من حديث أنس ﷺ قال: " بكروا بالإفطار، وأخروا السحور ".

(صحيح الجامع:٢٨٣٥)

قال الألباني-رحمه الله- في" حاشية صحيح الجامع: وهو في حكم المرفوع، لا سيما وله شاهد مرفوع من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- وهو مخرج في صفة الصلاة ". اهـ

١- فَاجْدَحْ لَنَا: هو أنْ يَخلِطَ الشَّعيرَ المَدقوقَ أو الدَّقيقَ باللَّبَنِ أو الماءِ، ويحرك هذا الطعام بعود، وذلك لِيُفْطِروا عليه.

الأمة المحمدية على خير طالما يعجلون الفطر:

- ***فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" لا تزال أمتي بخير، ما عجلوا الإفطار ".** (صحيح الجامع:٧٢٨٤)

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **" لا يزالُ الناسُ بخيرٍ، ما عجَّلوا الفطرَ".**

قال النووي-رحمه الله- في شرحه على مسلم:٨/٢٠٨": " فيه الحث على تعجيل الفطر بعد تحقق غروب الشمس، ومعناه لا يزال أمر الأمة منتظما، وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السنة، وإذا أخروه (أي: الفطر) كان ذلك علامة على فساد يقعون فيه ". اهـ

قال القسطلاني-رحمه الله-: " وأما ما يفعله الفلكيون من التمكين بعد الغروب بدرجة، فمخالف للسنة؛ فلذا قَلَّ الخير".

وقال أيضا: " تعجيل الفطر وتأخير السحور من خصائص هذه الأمة ".

قال المناوي-رحمه الله-: وفي قول النبي ﷺ: **" لا يزال الناس بخير، ما عجَّلوا الفطر".** أي ما داموا على هذه السنة، لأن تعجيله بعد تيقن الغروب من سنن الأنبياء، فمن حافظ عليه تخلق بأخلاقهم.

(التيسير بشرح الجامع الصغير:٢/٩٧٥)

وقال عمرو بن ميمون الأودي-رحمه الله-: " كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس فطرًا، وأبطأهم سحورًا ".

تعجيل الفطر لمخالفة أهل الكتاب:

- ***وأخرج ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما عجَّلوا الفطرَ؛ فإنَّ اليهودَ يؤخرونَ ".** (صحيح الجامع:٧٦٩٥)

وأَخْرَج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا يزالُ الدِّينُ ظاهرًا ما عجَّلَ النَّاسُ الفِطرَ، لأنَّ اليَهودَ والنَّصارى يؤخِّرونَ ".**

(صحيح الجامع:٧٦٨٩) (صحيح أبي داود: ٢٣٥٣) (صحيح الترغيب والترهيب:١٠٧٥)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: " وهذا نص في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر لأجل مخالفة اليهود والنصارى، وإذا كانت مخالفتهم سببا لظهور الدين، فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله، فتكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة". اهـ.

قال المناوي-رحمه الله- في" فيض القدير:٦/٣٩٥": " وتعجيل الفطر امتثالا للسنة ومخالفة لأهل الكتاب، حيث يؤخرون الفطر إلى ظهور النجوم، وفيه إيماء إلى أن فساد الأمور يتعلق بتغير هذه السنة، وأن تأخير الفطر عَلَمٌ على فساد الأمور". اهـ.

الأمة المحمدية على السنة طالما أنهم يعجلون الفطر:

فقد أخرج ابن حبان من حديث سهل بن سعد﵁ أن رسول الله ﷺ قال: **" لا تزال أمتي على سنتي، ما لم تنتظر بفطرها النجوم ".** (صحيح الترغيب والترهيب:١٠٧٤)

وهذه الخيرية تصيب الأمة بأسرها لبركة اتباع السنة، وينال مُحيي هذه السنة مخالفةً لأهل الكتاب من هذه الخيرية النصيب الوافر.

تعجيل الفطر وتأخير السحور من أخلاق النبوة:

- ***فقد أخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء﵁ قال:*** **" ثلاث من أخلاق النبوة: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، ووضع اليمين على الشمال في الصلاة ".** (صحيح الجامع:٣٠٣٨)

- ***وأخرج الطبراني أيضا في الكبير من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:*** **"إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نعجل إفطارنا، ونؤخر سحورنا، ونضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة".**

وفي رواية **" وأن نضرب بأيماننا على شمائلنا ".** (صحيح الجامع:٢٢٨٦)

قال المناوي-رحمه الله- في" فيض القدير:٦/٤٥٠": " تعجيله بعد تيقن الغروب من سنن المرسلين، فمن حافظ عليه تخلق بأخلاقهم؛ ولأن فيه مخالفة أهل الكتاب في تأخيرهم إلى اشتباك النجوم، وفي ملتنا هذا شعار أهل البدع، فمن خالفهم واتبع السنة لم يزل بخير، فإن أخر غير معتقد وجوب التأخير ولا ندبه، فلا خير فيه كما قال الطيبي- رحمه الله-: إن متابعة الرسول ﷺ هو الطريق المستقيم، ومن تعوج عنها فقد ارتكب المعوج من الضلال ولو في العبادة ".

وأخرج النسائي عن أبي عَطيَّةَ الهَمدانيِّ - وهو أحَدُ التَّابِعينَ- قال: قلتُ لعائشةَ-رَضِيَ اللهُ عنها-: **فينا رجُلانِ؛ أحدُهما يُعجِّلُ الإفطارَ ويؤخِّرُ السُّحورَ، والآخَرُ يؤخِّرُ الفِطرَ ويُعجِّلُ السُّحورَ، قالتْ: أيُّهما الذي يُعجِّلُ الإفطارَ ويؤخِّرُ السُّحورَ؟ قلتُ: عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ، قالتْ: هكذا كان رسولُ اللهِ ﷺ يصنَعُ".**

(صحيح النسائي: ٢١٥٨)

٥- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: أنه نهى عن الوصال في الصيام:

الوصال في الصيام هو أن يصوم يومين أو أكثر بدون أن يفطر.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة﵁ قال: **" نَهَى رَسولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الوِصَالِ، فَقالَ له رِجَالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ: فإنَّكَ تُوَاصِلُ يا رَسولَ اللَّهِ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: أيُّكُمْ مِثْلِي؟! إنِّي أبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي ويَسْقِينِ. فَلَمَّا أبَوْا أنْ يَنْتَهُوا عَنِ الوِصَالِ واصَلَ بهِمْ يَوْمًا، ثُمَّ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَوُا الهِلَالَ، فَقالَ: لو تَأَخَّرَ لَزِدْتُكُمْ. كَالْمُنَكِّلِ بهِمْ حِينَ أبَوْا ".**

- ***وفي رواية عند البخاري:*** **نَهَى رَسولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الوِصَالِ رحمةً لهم...". الحديث**

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " إِيَّاكُمْ والوِصَالَ مَرَّتَيْنِ قيلَ: إنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: إنِّي أبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي ويَسْقِينِي[1]، فَاكْلَفُوا مِنَ العَمَلِ ما تُطِيقُونَ.

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " لا تُواصِلُوا، قالوا: إنَّكَ تُواصِلُ، قالَ: إنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إنِّي أبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي ويَسْقِينِي، فَلَمْ يَنْتَهُوا عَنِ الوِصالِ، قالَ: فَواصَلَ بهِمُ النبيُّ ﷺ يَومَيْنِ أوْ لَيْلَتَيْنِ، ثُمَّ رَأَوُا الهِلالَ، فقالَ النبيُّ ﷺ: لو تَأَخَّرَ الهِلالُ لَزِدْتُكُمْ كالْمُنَكِّلِ لهمْ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أنس ﷺ قال: فَأَخَذَ يُوَاصِلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَذَاكَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَأَخَذَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُوَاصِلُونَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" مَا بَالُ رِجَالٍ يُوَاصِلُونَ إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِثْلِي، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ تَمَادَّ لِي الشَّهْرُ لَوَاصَلْتُ وِصَالًا يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ ".

إن شريعة الاسلام شريعة اليسر والسهولة، **وفي صحيح البخاري:**" إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحَدٌ إلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا [2]وقَارِبُوا [3]، وأَبْشِرُوا[4]، واسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ[5]". ولطالما تواردت النصوص على هذا الأصل- أصل التيسير، ورفع الحرج، واعتماد الرفق، وترك التكلف- وهذه خاصية الدين الرباني المراعي بواقع الناس وأحوالهم، الملائم للفطرة، وتنكيل النبي ﷺ بمن أرادوا الوصال ينسجم مع هذا الأصل إذ خشي عليهم النبي ﷺ العنت والمشقة، لكن لما كانت بعض النفوس لا يكفيها الكلام احتاج النبي ﷺ إلى العقوبة، ولم تكن العقوبة على أمر محرم، فلو كان محرمًا ما أمرهم به النبي ﷺ، بل زادهم من جنس ما رغبوا فيه حتى يدركوا الفرق بينهم وبينه ﷺ، وهو الموصول ﷺ من ربه تعالى بألطاف ومعانٍ قل من يدركها.

تنبيه: الخلاصة أن الوصال لغير النبي ﷺ لا يشرع، وأن من أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر، ***وذلك للحديث الذي أخرجه البخاري وأبو داود واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " لا تُواصِلوا، فأيُّكم أرادَ أن يواصِلَ، فليُواصل حتَّى السَّحَرَ قالوا: فإنَّكَ تُواصِلُ، قالَ: إنِّي لَستُ كَهيئَتِكُم، إنَّ لي مُطعمًا يُطعمُني، وساقيًا يَسقيني". (صحيح أبي داود: ٢٣٦١) وهذه المواصلة إلى السحر من باب الجائز، وليست من باب المشروع، لحثه ﷺ على تعجيل الفطر، كما مر بنا في الأحاديث. فالأفضل أن يُفطر مع الناس، إذا غابت الشمسُ ويقبل رخصةَ الله تعالى، ولقول النبي ﷺ:" إذَا أقْبَلَ اللَّيْلُ مِن هَا هُنَا، وأَدْبَرَ النَّهَارُ مِن هَا هُنَا، وغَرَبَتِ الشَّمْسُ فقَدْ أفْطَرَ الصَّائِمُ ". (رواه البخاري)

١- وقول النبي ﷺ يطعمني ويسقيني: قيل أنه على الحقيقة أي أنه يطعمه من طعام الجنة، وقيل: أن على المجاز، وهو كما قال ابن القيم في" زاد الميعاد":" أي ما يغذيه الله من معارفه ولذة مناجاته، فيقوى بهذا الغذاء حتى يغني عن غذاء الأجسام مدة من الزمان وهذا هو الراجح، لأنه لو كان طعامًا وشرابًا حسيًا لما كان في ذلك تعجيز، ولما عُد بذلك صائمًا فضلًا عن أن يكون مواصلًا " (انظر زاد المعاد:٢/٣٢)

٢- التَّسديدُ: هو العملُ بالقصدِ، والتَّوسُّطُ في العِبادةِ، فلا يُقصِّرُ فيما أُمِرَ به، ولا يَتحمَّلُ منها ما لا يُطِيقُه، مِن غيرِ إفراطٍ ولا تَفريطٍ.

٣- وقارِبوا: أي: إنْ لم تَستطيعوا الأخْذَ بالأكملِ، فاعمَلوا بما يَقرُبُ منه.

٤- وأبشِروا: أي: بالثَّوابِ على العملِ وإن قَلَّ.

٥- ثمَّ أرشَدَ النبيُّ ﷺ إلى ما يُساعِدُ على السَّدادِ والمقارَبةِ، فقال:" واستعِينوا بالغَدْوةِ والرَّوْحةِ، وشَيءٍ مِن الدُّلْجةِ"؛ فهذه الأوقاتُ الثَّلاثةُ أوقاتُ العملِ والسَّيرِ إلى اللهِ؛ فالغَدوةُ: أوَّلُ النَّهارِ، والرَّوحةُ: آخِرُه، والدُّلجةُ: سَيرُ آخِرِ اللَّيلِ، وسَيرُ آخِرِ اللَّيلِ محمودٌ في سَيرِ الدُّنيا بالأبدانِ، وفي سَيرِ القُلوبِ إلى اللهِ بالأعمالِ. وقال: وَشَيءٍ مِن الدُّلجةِ، ولم يقُلْ: والدُّلجةَ؛ تَخفيفًا؛ لمَشقَّةِ عمَلِ اللَّيلِ.

٦- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: أن رخص لهم التبرد في الصيام عند الحرِّ الشديد:

فقد أخرج أبو داود والبيهقي عن أبي بكرٍ بن عبد الرَّحمنِ- أحد التَّابعين- عن بعض أصحاب النبي ﷺ:

قالَ: **لقد رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بالعرجِ[١] يصبُّ علَى رأسِهِ الماءَ، وَهوَ صائمٌ منَ العطشِ، أو منَ الحرِّ ".**

(صحيح أبي داود: ٢٣٦٥)

وهذا من الرفق بالجسد، والتيسير على النفس، وبث النشاط فيها لتتمكن من مزيد الطاعة، إذ مقصود الصيام الأعظم امتثال الأمر، وتقديم الخضوع لله تعالى على محبوبات النفس وملذاتها، لا تعذيب الجسد وإيذائه والقسوة عليه.

وفهم الصحابة والتابعون هذا الأصل فكانوا يفعلونه وهم أكثر الناس تأسيًا بالنبي ﷺ **وقد ذكر البخاري- رحمه الله- جملة من الآثار التي تدل على هذا، فقال البخاري تحت باب: اغتسال الصائم".**

- **وبل ابن عمر -رضي الله عنهما- ثوبًا فألقاه عليه وهو صائم ".**
- **ودخل الشعبي الحمام وهو صائم.**
- ***وقال الحسن -رحمه الله-:*** **" لا بأس بالمضمضة والتبرد للصائم ".**
- ***وقال أنس*** **رضي الله عنه:" إن لي أَبْزَن[٢] اتقحم فيه[٣] وأنا صائم ".**
- ***وفي مصنف ابن أبي شيبة عن عثمان بن أبي العاص[٤]*** **رضي الله عنه أنه كان يصب عليه الماء ويروح عنه وهو صائم".**

بصورة عامة: فكل ما يخفف العبادة على الشخص ويُمكنه من أدائها وهو نشيط مطمئن مقبل على ربه عز وجل أمر مطلوب، وكل مشقة يمكن الانفكاك عنها مع أداء العبادة على وجهها فليست من مقصودات الشارع، بل التخلي عنها من مطلوباته، أما المشقة التي لا تنفك عنها العبادة فهي التي تزيد في الأجر؛ كالوضوء في الشتاء، والسفر للحج، والمشي إلى الصلاة جماعة في شدة الحر أو البرد.

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه -رحمه الله-: " ومما ينبغي أن يعرف أن الله تعالى ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق، حتى يكون العمل كلما كان أشق كان أفضل، كما يحسب كثير من الجهال أن الأجر على قدر المشقة في كل شيء، لا، ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصلحته وفائدته، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله. فأي العملين كان أحسن وصاحبه أطوع وأتبع، كان أفضل؛ فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة، وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل..". اهـ **(مجموع الفتاوى:٢٨١/٢٥)**

فأفضل الأمر أيسره، والتشديد على النفس أو الآخرين خلاف هدي النبي ﷺ.

١- العَرج: قريةٌ على طريق مكَّةَ.
٢- والأبزن حجر منقور شبه الحوض، وهي كلمه فارسية.
٣- اتقحم فيه: أي أدخل فيه. والمقصود: أنه يغتسل.
٤- صحابي من أهل الطائف. وفد على النبي ﷺ في وفد ثقيف وهو ابن سبع وعشرين وهو أصغرهم فأسلم، واستعمله رسول الله ﷺ على الطائف.

٧- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: أنه نهى عن الصوم في السفر لمن وجد مشقة، ومنعه الصيام عن فعل الخير:

فقد أخرج الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَهْرٍ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ وَالنَّاسُ صِيَامٌ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ مُشَاةٌ وَنَبِيُّ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ، فَقَالَ: اشْرَبُوا أَيُّهَا النَّاسُ، قَالَ: فَأَبَوْا، قَالَ: إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَيْسَرُكُمْ، إِنِّي رَاكِبٌ، فَأَبَوْا، فَثَنَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخِذَهُ فَنَزَلَ فَشَرِبَ وَشَرِبَ النَّاسُ، وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَشْرَبَ".

وأخرج الإمام أحمد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- قَالَ:" خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَصَامَ حَتَّى مَرَّ بِغَدِيرٍ فِي الطَّرِيقِ وَذَلِكَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ[١]، قَالَ: فَعَطِشَ النَّاسُ، فَجَعَلُوا يَمُدُّونَ أَعْنَاقَهُمْ وَتَتُوقُ أَنْفُسُهُمْ[٢] إِلَيْهِ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَأَمْسَكَهُ عَلَى يَدِهِ حَتَّى رَآهُ النَّاسُ، ثُمَّ شَرِبَ فَشَرِبَ النَّاسُ ".

وأخرج أبو داود والبيهقي ومالك واللفظ له عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ النَّاسَ فِي سَفَرِهِ عَامَ الْفَتْحِ بِالْفِطْرِ، وَقَالَ:" تَقَوَّوْا لِعَدُوِّكُمْ"، وَصَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَالَ الَّذِي حَدَّثَنِي: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْعَرْجِ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ الْعَطَشِ أَوْ مِنْ الْحَرِّ، ثُمَّ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ طَائِفَةً مِنْ النَّاسِ قَدْ صَامُوا حِينَ صُمْتَ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْكَدِيدِ[٣] دَعَا بِقَدَحٍ فَشَرِبَ فَأَفْطَرَ النَّاسُ[٤] ". (صحيح أبي داود: ٢٣٦٥)

وقد أفطرَ النبيُّ ﷺ لمَّا رأى مشقَّةَ الصيامِ على الناسِ، ووقَفَ بناقتِه حتى تجمعَ الناسُ ورأَوْه فشرِبَ ثم شرِبوا، وأفطرُوا لفِطرِه ﷺ.

وأخرج الإمام مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ[٥] وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمْ الصِّيَامُ، وَإِنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ فِيمَا فَعَلْتَ، فَدَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَشَرِبَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَأَفْطَرَ بَعْضُهُمْ وَصَامَ بَعْضُهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّ نَاسًا صَامُوا فَقَالَ: أُولَئِكَ الْعُصَاةُ ".

وأخرج الحاكم وابن حبان عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَافَرَ فِي رَمَضَانَ، فَاشْتَدَّ الصَّوْمُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَعَلَتْ رَاحِلَتُهُ تَهِيمُ بِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَمْرِهِ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُفْطِرَ، ثُمَّ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ ثُمَّ شَرِبَ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ ". - زاد ابن حبان:" فلما رآه الناس شرب شربوا ".

١- فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ: أَيْ فِي أَوَّلِ الظَّهِيرَةِ.
٢- تَتُوقُ أَنْفُسُهُمْ: أَيْ تَشْتَاقُ.
٣- والكَدِيدُ: مكانٌ أو ماءٌ قريبٌ من مكَّة، عَلَى اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مِيلًا مِنْهَا.
٤- وكان ذلك بعد العصر.
٥- كُرَاعَ الْغَمِيمِ: هُوَ بِضَمِّ الْكَافِ، وَالْغَمِيمُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَهُوَ اسْمُ وَادٍ أَمَامَ عُسْفَانَ وَهُوَ فِي أَعَالِي الْمَدِينَةِ .

٨- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: أنه توقف عن قيام الليل جماعة في رمضان، مخافة أن تفرض عليهم:

كان رسولُ اللهِ ﷺ رَحيمًا بأُمَّتِه، ومِن دَلائلِ رَحمتِه ﷺ أنَّه كان في بَعضِ الأوقاتِ يَترُكُ بَعضَ الأعمالِ غيرِ المَفروضةِ؛ خَشْيةَ أنْ تُفرَضَ عليهم؛ وذلك لِما امتازَ به أصحابُه رَضيَ اللهُ عنهم مِن حُبِّ الاقتداءِ به ﷺ، والمُسارَعةِ لمُوافَقتِه.

وقد أخرج البخاري عَنْ عائشة-رضي الله عنها- قَالَت: " أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى ذَاتَ لَيْلَةٍ في المَسْجِدِ، فَصَلَّى بصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ القَابِلَةِ، فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إليهِم رَسولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قالَ:" قدْ رَأَيْتُ الذي صَنَعْتُمْ، ولَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الخُرُوجِ إلَيْكُمْ إلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ علَيْكُم، وذلكَ في رَمَضَانَ ".

وأخرج الإمام مسلم عَنْ عائشة-رضي الله عنها- قَالَت: " أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ، خَرَجَ مِن جَوْفِ اللَّيْلِ فَصَلَّى في المَسْجِدِ، فَصَلَّى رِجَالٌ بصَلَاتِهِ، فأصْبَحَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ بذلكَ، فَاجْتَمع أَكْثَرُ منهمْ، فَخَرَجَ رَسولُ اللهِ ﷺ في اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ، فَصَلَّوْا بصَلَاتِهِ، فأصْبَحَ النَّاسُ يَذْكُرُونَ ذلكَ، فَكَثُرَ أَهْلُ المَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، فَخَرَجَ فَصَلَّوْا بصَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ المَسْجِدُ عن أَهْلِهِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إليهِم رَسولُ اللهِ ﷺ، فَطَفِقَ رِجَالٌ منهمْ يقولونَ: الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْرُجْ إليهِم رَسولُ اللهِ ﷺ حتَّى خَرَجَ لِصَلَاةِ الفَجْرِ، فَلَمَّا قَضَى الفَجْرَ أَقْبَلَ علَى النَّاسِ، ثُمَّ تَشَهَّدَ، فَقالَ: أَمَّا بَعْدُ، فإنَّه لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ شَأْنُكُمُ اللَّيْلَةَ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ علَيْكُم صَلَاةُ اللَّيْلِ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا.

فخَشِيَ ﷺ إنْ خرَجَ إليهم والْتزَموا معه؛ أنْ تُفرَضَ عليهم، مِن أجْلِ أنَّها فَرْضٌ عليه، فيُسَوَّى بيْنَه وبيْنَهم في الحُكمِ، أو يكونُ ﷺ خشِيَ مِن مُواظَبَتِهم على صَلاةِ اللَّيلِ معه أنْ يَضعُفوا عنها، فيكونَ مَن تَرَكَها عاصيًا للهِ في مُخالَفتِه لنَبيِّه ﷺ وتَرْكِ اتِّباعِه، مُتوعَّدًا بالعِقابِ على ذلك؛ لأنَّ اللهَ تعالَى فَرَضَ اتِّباعَه، وكان ﷺ رَؤوفًا بالمؤمنينَ، رَحيمًا بهم، **كما قال تعالى:** ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ١٢٨). (الدرر السنية)

وهذا درس عظيم للدعاة، والوعاظ، والعلماء، فمع حرصهم على هداية الناس ودعوتهم وبذل غايه الجهد في ذلك، فعليهم أن يجمعوا مع هذا رفقًا ورحمة بهم، وتسهيلًا عليهم، وحرصًا وتخوفًا عليهم من الوقوع في الإثم، أو مقارفة المنكر.

صورة من رحمته ﷺ:

حيث خفف النبي ﷺ الصلاة حينما علم أن أصحابه يصلون خلفه.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أَنَسٍ ﷺ قَالَ: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي فِي رَمَضَانَ، فَجِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَامَ أَيْضًا حَتَّى كُنَّا رَهْطًا، فَلَمَّا حَسَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّا خَلْفَهُ جَعَلَ يَتَجَوَّزُ فِي الصَّلَاةِ، ثُمَّ دَخَلَ رَحْلَهُ فَصَلَّى صَلَاةً لَا يُصَلِّيهَا عِنْدَنَا، قَالَ: قُلْنَا لَهُ: حِينَ أَصْبَحْنَا؛ أَفَطَنْتَ لَنَا اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: فَقَالَ: "نَعَمْ ذَاكَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى الَّذِي صَنَعْتُ...".** أي تجاوزت في الصلاة.

ففي هذا الحديث لما علم النبي ﷺ بوجود من يصلي خلفه خفف الصلاة، ولما صلى لحاله وبمفرده أطال.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" فمَن أمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فإنَّ فِيهِمُ الكَبِيرَ، وإنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ، وإنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وإنَّ فيهم ذا الحاجَةِ، وإذا صَلَّى أحَدُكُمْ وحْدَهُ، فَلْيُصَلِّ كيفَ شاءَ.**

وهذا من رحمته بأمته، وأيضًا لما علم أن معاذ بن جبل ﷺ يطيل بالناس في الصلاة، زجره ونهره، وقال له ﷺ: **" يا مُعَاذُ، أفَتَّانٌ أنْتَ؟! –ثَلَاثًا– اقْرَأْ: والشَّمْسِ وضُحَاهَا، وسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى".** (رواه البخاري ومسلم)

فينبغي الإيغال في الدين برفق، وعدم تبغيض عبادة الله إلى النفس، إذ المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى، فأحرى بعلمائنا ودعاتنا أن يتحلوا بهذه الرتبة السامقة والخلق الرفيع، ومراعاه ضعف الناس والرفق بهم، وتسهيل التطبيق عليهم، وعدم إلزامهم بما يُلزم المرء به نفسه، وهذا كله من أعمال وفضائل البر، والتدرج معهم رويدًا رويدًا في صعود مراقي الكمال؛ وهذا هو مفتاح كسب القلوب، وبوابة الحفاظ على مداومة الناس على الطاعة والاستمرار على دروب الخير". (هكذا كان النبيُّ ﷺ في رمضان لفيصل بن علي)

يقول أَبو وَائِل كما في صحيح البخاري **كانَ عبدُ اللهِ [1] يُذَكِّرُنَا كُلَّ يَومِ خَمِيسٍ، فَقَالَ له رَجُلٌ: يا أَبَا عبدِ الرَّحْمَنِ إنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَشْتَهِيهِ، وَلَوَدِدْنَا أنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَومٍ، فَقَالَ: ما يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إلَّا كَرَاهِيةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَتَخَوَّلُنَا بالمَوْعِظَةِ في الأيَّامِ، كَرَاهِيةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا".**

أي يتعهدنا بالتذكير مراعيًا أوقات نشاطنا، ولا يفعل ذلك دائمًا.

تنبيهان:

١- لا يقصد بالتخفيف في الصلاة؛ التخفيف المخل الذي يكون على هوى الناس، أو التخفيف مع عدم الإتمام بشروط الصلاة وأركانها.

٢- لا مانع للإمام من الإطالة في الصلاة إذا عُلم رضا المأمومين بهذا، فقد صلى بأصحابه حتى خافوا أن يفوتهم السحور (والحديث عند الترمذي)، وآخر صلاة صلاها النبي ﷺ إمامًا بأصحابه وذلك قبل مرضه، هي صلاة المغرب، وصلى بسورة المُرسَلاتِ (والحديث عند الترمذي). وصلى رسولُ اللهِ ﷺ المغربَ وقرأ بسورةِ الأعرافِ فَرَّقَها في الركعتينِ (والحديث عند النسائي بسند صحيح).

١- هو عبد الله بن مسعود ﷺ.

٩- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: حثهم على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان التماسًا لليلة القدر، والتي هي خير من ألف شهر:

قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر:٣)

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله- في "تفسيره: ٣٠/١٦٧": "عمل في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر" وهذا الذي صوَّبه ابن كثير-رحمه الله – في تفسيره.

وهي ليلة أنزل الله تعالى فيها القرآن؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(القدر:١)، **وعظَّم شأنها الله تعالى فقال:** ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ أي: أن دراية علوها ومنزلتها خارج عن دائرة دراية الخلق، فلا يعلم ذلك إلا علامُ الغيوبِ جلَّ جلاله، وهي ليلة لا يخرج الشيطان معها، والملائكة والروح تَنَزَّل في هذه الليلة: كما قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ (القدر:٤)، والأمن والسلام يحل في هذه الليلة على أهل الإيمان كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر:٥)، وهي ليلة مباركة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ (الدخان: ٣) ويتم في هذه الليلة تقدير مقادير السنة كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: ٤) مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه، كما جاء عن النبي ﷺ **في الصحيحين:**"... **ومَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه** ".

فمَن حُرِمَ خير ليلة القدر فهو المحروم.

فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **أَتَاكُمْ شهر رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الجنة، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ وفِيهِ لَيْلَةٌ هي خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ** ".(صحيح الجامع: ٥٥)

وهذه العطايا والمنح الربانية والهبات الإلهية تجعلنا نتحرَّى ونلتمس ليلة القدر **امتثالًا لقول النبي ﷺ الثابت في "صحيحي البخاري ومسلم" من حديث عائشة-رضي الله عنها-:** " **تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان** ".

وكان النبي ﷺ يعتكف ويحث أمته على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان؛ التماسًا لليلة القدر.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **إِنِّي اعْتَكَفْتُ العَشْرَ الأَوَّلَ، أَلْتَمِسُ هذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ العَشْرَ الأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتِيتُ، فقِيلَ لِي: إنَّهَا في العَشْرِ الأَوَاخِرِ، فمَن أَحَبَّ مِنكُم أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ**"، **فَاعْتَكَفَ النَّاسُ معهُ، قالَ: وإنِّي أُرِيتُهَا لَيْلَةَ وِتْرٍ...**". الحديث

– ***وفي رواية:*** " **أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى قبضه الله** ".

١٠- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: خوفه عليهم من الوقوع في الإثم:

أخرج البخاري ومسلم وأبو داود واللفظ له من حديث صفية-رضي الله عنها- قالت: " كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مُعتكفًا فأتيتُه أزورُه ليلًا، فحدَّثتُه ثمَّ قمتُ، فانقلبتُ فقامَ معي ليقلبَني، وكانَ مَسكنُها في دارِ أُسامةَ بنِ زيدٍ، فمرَّ رجلانِ منَ الأنصارِ(١)، فلمَّا رأيا النَّبيَّ ﷺ أسرَعا، فقالَ النَّبيُّ ﷺ:" علَى رِسلِكما (٢) إنَّها صفيَّةُ بنتُ حييٍّ قالا: سبحانَ اللَّهِ (٣) يا رسولَ اللَّهِ، قالَ ﷺ:" إنَّ الشَّيطانَ يجري منَ الإنسانِ مجرَى الدَّمِ (٤)، فخشيتُ أن يَقذفَ في قلوبِكما شيئًا، أو قالَ: شرًّا(٥) ".

فالنبي ﷺ خَشِي أنْ يُوسوِسَ لهما الشَّيطانُ فَيُلقي في قُلوبِهما ظنًّا سَيِّئًا به، وقدْ يُفضِي بهما ذلك إلى الهلاكِ، فَبادَرَ إلى إعلامِهما؛ تَعليمًا لِمَن بعدَهما إذا وقَعَ له مِثلُ ذلك.

قال الحافظ بن حجر-رحمه الله- كما في فتح الباري:٤/٣٢٩":"وفي الحديث من الفوائد، ومنها: بيان شفقته ﷺ على أمته، وإرشادهم إلى ما يدفع عنهم الإثم. والتحرز من التعرض لسوء الظن. والتحفظ من كيد الشيطان، قال ابن دقيق العيد: وهذا متأكد في حق العلماء ومن يُقتدَى به، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم، وإن كان لهم فيه مخلص، لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم ". اهـ

١١- من رحمة النبي ﷺ بأمته في رمضان: الرفق بمن جامع زوجته في نهار رمضان:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: بيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النبيِّ ﷺ، إذْ جَاءَهُ رَجُلٌ(٦) فَقَالَ: يا رَسولَ اللَّهِ! هَلَكْتُ. قَالَ: ما لَكَ؟ قَالَ: وقَعْتُ علَى امْرَأَتي وأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: هلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَهلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، قَالَ: لَا، فَقَالَ: فَهلْ تَجِدُ إطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا. قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَكَثَ النبيُّ ﷺ، فَبيْنَا نَحْنُ علَى ذلكَ أُتِيَ(٧) النبيُّ ﷺ بعَرَقٍ(٨) فِيهَا تَمْرٌ - والعَرَقُ المِكْتَلُ - قَالَ: أيْنَ السَّائِلُ؟ فَقَالَ: أنَا، قَالَ: خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ به فَقَالَ الرَّجُلُ: أعَلَى أفْقَرَ مِنِّي يا رَسولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ ما بيْنَ لَابَتَيْهَا(٩)-يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ- أهْلُ بَيْتٍ أفْقَرَ مِن أهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتَّى بَدَتْ أنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: أطْعِمْهُ أهْلَكَ ".

وفي الحديث: الرِّفقُ بالمُتعلِّم، والتَّلطُّفُ في التَّعليمِ، والتَّأليفُ على الدِّين.

١- رَجُلانِ مِنَ الأنصار: قيل: هما أُسَيدُ بنُ حُضيرٍ وعبَّادُ بنُ بِشرٍ- رَضيَ اللهُ عنهما.
٢- على رِسْلِكما: أي تَمهَّلا ولا تَتعجَّلا، فليس شَيءٌ تَكْرهانِه، ولِيُخْبِرهما أنَّها صَفيَّةُ امرأتُه.
٣- فقالا: سُبحانَ اللهِ! أي: تَنزَّهَ اللهُ عن أنْ يكونَ رَسولُه ﷺ مُتَّهمًا بما لا يَنْبغي، أو كِنايةً عن التَّعجُّبِ مِن هذا القولِ، وكَبُرَ عليهما ذلك، وشَقَّ عليهما ما قالَه ﷺ، واستعْظَما أنْ يَظُنَّ النَّبيُّ ﷺ أنَّهما قدْ ظنَّا به سُوءًا.
٤- جريان الشيطان من ابن آدم مجرى الدم، قيل: هو على ظاهره، وأن الله تعالى أقدره على ذلك وجعل له قوة على التوصل إلى باطن الإنسان، وقيل: هو على سبيل الاستعارة، من كثرة إغوائه، وكأنه لا يفارق كالدم، فاشتركا في شدة الاتصال وعدم المفارقة، أي إن وسوسته تصل في مسام البدن سريان الدم في البدن.
٥- روى الحاكم أن الشافعي كان في مجلس ابن عيينة، فسأله عن هذا الحديث؟ فقال الشافعي: إنما قال لهما ذلك، لأنه خاف عليهما الكفر، إن ظنا به التهمة، فبادر إلى إعلامهما، نصيحة لهما، قبل أن يقذف الشيطان في نفوسهما شيئاً، يهلكان به ".
٦- الرجل: اسمه: سلمان بن صخر ﷺ.
٧- بالبناء للمجهول، لأنه وقع في رواية البخاري:" فجاء رجل من الأنصار"، وفي رواية الدارقطني:" فجاء رجل من ثقيف".
٨- العَرَق أو العَرْق: بفتح الراء أو سكونها وهو الزنبيل وهو المكتل الذي يسع خمسة عشر صاعًا. والصَّاعُ يُساوي بالجرامِ (٢٠٣٦) في أقلّ تَقديرٍ، وفي أعْلى تَقْديرٍ يُساوي (٤٢٨٨) جرامًا.
٩- لابتيها: بين طرفي المدينة. والحَرَّة: الأرض تكون تربتها سود، لابتي المدينة: وهما حرتاها الشرقية - شرقي البقيع، وتسمى حرة واقم، والغربية: غربي سلع، وتسمى حرة الوبرة.

- ***وأخرج الترمذي بسند صحيح من حديث عن سلَمةَ بنِ صخرٍ الأنصاريِّ ﷺ قالَ:*** كنتُ رجلًا قد أوتيتُ من جماعِ النِّساءِ ما لم يؤتَ غيري، فلمَّا دخلَ رمضانُ تظاهرتُ مِن امرأتي حتَّى ينسلخَ رمَضانُ[1] فرقًا من أن أصيبَ منها في ليلي فأتتابعَ في ذلِكَ إلى أن يُدْرِكَني النَّهارُ وأَنا لا أقدِرُ أن أنزعَ، فبينما هيَ تخدُمُني ذاتَ ليلةٍ إذ تكَشَّفَ لي منها شيءٌ فوثبتُ عليها، فلمَّا أصبحتُ غدوتُ علَى قومي فأخبرتُهُم خبري فقلتُ: انطلقوا معي إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأُخْبِرَهُ بأمري، فقالوا: لا واللَّهِ لا نفعلُ، نتخوَّفُ أن ينزلَ فينا قرآنٌ أو يقولَ فينا رسولُ اللَّهِ ﷺ مَقالةً يَبْقَى علَينا عارُها، ولَكِن اذهب أنتَ فاصنَع ما بدا لَكَ. قالَ: فخَرجتُ فأتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبرتُهُ خبري، فقالَ: أنتَ بذاكَ؟ قلتُ: أَنا بذاكَ[2]. قالَ: أنتَ بذاكَ؟ قلتُ: أَنا بذاكَ. قالَ: أنتَ بذاكَ؟ قلتُ: أَنا بذاكَ، وَها أَنا ذا فأمضِ فيَّ حُكْمَ اللَّهِ فإنِّي صابرٌ لذلِكَ. قالَ: أعتِق رقبةً. قالَ: فضَربتُ صفحةَ عُنقي بيدي، فقلتُ: لا والَّذي بعثَكَ بالحقِّ ما أصبحتُ أملِكُ غيرَها. قالَ: فصم شَهْرين. قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! وَهَل أصابَني ما أصابَني إلَّا في الصِّيامِ. قالَ: فأطعِم ستِّينَ مسكينًا: قلتُ: والَّذي بعثَكَ بالحقِّ لقد بِتنا ليلتَنا هذِهِ وحشَى، ما لَنا عشاءٌ. قالَ: اذهَب إلى صاحبِ صدقةِ بَني زُرَيْقٍ، فقل لَهُ فليَدفعها إليكَ فأطعِم عنكَ منها وسقًا ستِّينَ مِسكينًا، ثمَّ استعن بسائرِهِ عليكَ وعلى عيالِكَ قالَ: فرجَعتُ إلى قومي، فقلتُ: وجدتُ عندَكُمُ الضِّيقَ وسوءَ الرَّأيِ، ووجدتُ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ السَّعةَ والبرَكَةَ، أمرَ لي بصدقتِكُم فادفعوها إليَّ فدفعوها إليَّ ". (صحيح الترمذي: ٣٢٩٩)

ولقد كان المستفتون يأتونه، فيسألونه ويحاورونه وهم مطمئنون واثقون بأنهم نازلون على معلم كريم رحيم. بل إنه ليداعب بعضهم، ويسلي عنهم، ***كما ترى في هذا الحديث الذي رواه البخاري عن عدي بن حاتم ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية:*** ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾، قال: أخذت عقالًا أبيض وعقالًا أسود فوضعتهما تحت وسادتي، فنظرت فلم أتبين، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ له فضحك، فقال: إن وسادك إذن لعريض طويل، إنما هو الليل والنهار ".

ولم يأمره النبي ﷺ بقضاء، فدل على أن الجهل بالحكم رافع لوجوب القضاء[3].

١- الظهارُ: أنْ يَقولَ أحَدُهم لزَوجته أنتِ عليَّ كظَهرِ أُمِّي أو أُختي، وكان العرَبُ قبلَ الإسلامِ يَعُدُّون الظِّهارَ طَلاقًا، فتُطلَّقُ الزوجةُ الذي ظاهَرَ زوجُها منها، حتَّى أتَى الإسلامُ وشرَعَ لهم الطَّلاقَ، وجُعِلَ للظِّهارِ كفَّارةٌ إذا ما وقَعَ مِن أحَدِهم بَعدَ الإسلامِ. يقولُ سَلَمةُ بنُ صخرٍ الأنصاريُّ ﷺ: " كنتُ رجلًا قد أُوتيتُ مِن جِماعِ النِّساءِ ما لم يُؤتَ غيري"، أي: أوتيتُ مِن كَثرَتِه مِن القُوَّةِ على ذلك،" فلمَّا دخَلَ رمضانُ تَظاهَرتُ مِن امرَأتي"، أي: وقَعَ مِنه الظِّهارُ قاصِدًا بذلك الامتِناعَ عن جِماعِها لا مُفارَقَتَها، "حتَّى يَنسَلِخَ رَمضانُ"، أي: كان الظِّهارُ مُوقَّتًا لمدَّةِ شهرِ رمَضانَ

٢- وقول النَّبيِّ ﷺ:" أنتَ بذاك؟"، أي: أنت الَّذي يقَعُ مِنك ذلك، وهذا كنايةٌ عن عِتابِه الشَّديدِ على ما فعَل سَلمةُ، وانتِهاكِه لِما حرَّم اللهُ تعالى، قلتُ: "أنا بذاك"، أي: أنا الذي وقَع منه ذلك، كنايةً عن استِشْعارِه لعِتابِ رسولِ اللهِ ﷺ، ونَدمِه عليه.

٣- من تأمل في نصوص الشريعة المطهرة تجلى له أن مفطرات الصائم لا تفسد الصوم إلا بثلاثة شروط: الأول: العلم، فإذا أتى المرء شيئًا من المفطرات جاهلًا فلا شيء عليه، سواء أكان جهله بحكم كون الشيء مفطرًا ففعله، أم جاهلًا بالوقت؛ كأن يظن أن وقت الفجر لم يدخل فأكل وشرب. الثاني: ذكر الصيام، فمن نسي كونه صائمًا لم يفسد صومه، وإن وجب على من حوله تذكيره. الثالث: الاختيار، فمن أكره أو لم يتقصد الفطر لم يفسد صومه. (انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين:٢٨١/٩)

أحبتي في الله... مما لا شك فيه أن المخطئ والجاهل والعاصي له حق على المسلمين ويتمثل هذا في نصحه وتوجيهه، وتقويم اعوجاجه بأفضل الطرق وأقومها، ولو أن الدعاة والمعلمين اقتدوا برسول الله ﷺ، وبذلوا جهدهم في نصح وتعليم المخطئ بهذا الأسلوب النبوي الكريم، وما فيه من حلم ورفق، ورحمة وحكمة، لأثروا بتعليمهم وأسلوبهم فيه تأثيرًا يجعله يستجيب لتنفيذ أمر الله تعالى وهَدْي رسوله ﷺ.

فما أجدر العلماء والدعاة والوعاظ أن يجتهدوا في تبصير الخلق وهدايتهم وردّهم ردًا جميلًا إلى دين الله ويتأكد هذا في شهر رمضان المبارك حيث يقبل عامة الناس على المساجد وتكثر أسئلتهم عن أحكام الصيام، والزكاة، والاعتكاف، وعما اقترفوه من الموبقات والذنوب، وهناك من يتكلم بسوء أدب وهناك من لا يستطيع أن يعرض مسألة بوضوح، وهناك من يألمه الذنب ويحتاج لمن يأخذ بيده إلى مرضاة الله. فالسائلون يحتاجون إلى قلوب رقيقة، وأيد حانية تمسح موضع الداء بلطف، وتعالجه برفق، وتخفف ألم المصاب أو المعصية.

فالرفق والرحمة والإقبال على الشخص، وحسن الاستماع إليه، والتلطف في جوابه، والبشاشة في وجهه، مفاتيح امتلاك القلوب، والتأثير فيها وكسب المشاعر.

وأخيراً أحبتي في الله... بعد عرض صور من رحمة الله تعالى بعباده في رمضان، فلا يسعنا إلا أن نجتهد في هذا الشهر العظيم المبارك لنزداد قربًا منه سبحانه فيشملنا برحمته، وهذه أيضًا فرصة للعاصين والمعرضين عن رب العالمين فقد ظهر لهم جليًا مدى رحمة الله تعالى بعباده في رمضان وفي غيره من شهور العام، فيقبلون عليه ولا يعرضون عنه.

عندما تحدثتُ عن صور من رحمة النبي ﷺ ورأفته بأمته في هذا الشهر العظيم المبارك، فلا يسعُنا إلا أن نزداد محبة له ﷺ ونقتدي به، وليحاول كل منا أن يتخلق بهذا الخلق الكريم -خلق الرحمة- حتى يرحمه الله عز وجل.

فقد أخرج أبو داود والترمذي وأحمد من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **الرَّاحِمونَ يرحَمُهم الرَّحمنُ، ارحَموا مَن في الأرضِ؛ يرحَمْكم مَن في السَّماءِ** ". **(صحيح الترمذي: ١٩٢٤)**

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"... **مَن لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ** ".

وهذا وعيد شديد لكل من نزعت الرحمة من قلبه، فلا يسلم منه بشر ولا حيوان، نعوذ بالله من الخذلان.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يملأ قلوبنا رحمة ورأفة بخلقه، ليشملنا الله برحمته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثَمَّ خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك